

تفضل الشاعر العربي الكبير الأستاذ : عبد الوهاب البياتي فأمدى قراء
الاتحاد : « مقطعان من قصيدة » ، (من بعض ما أعمله أبو فرج
الاصبھاني في كتاب الأغاني) بخط يده . شكرا له على رعايته للاتحاد
وعنايته بقرائنا .



مقطعان من قصيدة

(من بعض ما أعمله أبو فرج

الاصبھاني في كتاب الأغاني)

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

جئتُ ليلي
لمريم بالحب
مات بغيره
فالموت أجبك ما يكون
مرت عصور : لها هم العصور
في أكتافهم تنهدون
وأنا أقلب في جنتهم
أوراقهم
فلعلهم يتذكرون

قَالَتْ : أَتَتَرَكُهُمْ ، كَمَا كَانُوا ،
 يَمُوتُونَ انْتِظَارًا فِي الرِّهَامِ وَالْحَقُونِ
 يَتَحَدُّونَ بَنُوهُمْ
 وَتَحْدُثُونَ الْفِتْنَةُ
 تَعَبَتِ الرِّوَاةُ بِهِمْ
 أَعَادُوهُمْ إِلَى الدَّرَةِ الْعَشِيَّةِ فَقَدِيرِينَ
 تَرَكَوْا عَلَى بَابِ الْخَلِيفَةِ خَا كَفَيْتِ
 أَصْوَانَهُمْ نَجَّتِ
 وَكَيْنَ الْمُغْنَى
 ظَلَّ يَصْرِفُ فِي فُضَاةِ النِّعَامَةِ
 ضَارِبًا فِي عُودِهِ
 لِحْنًا يَمِزُّهُ الْخَمْسُ
 هَذِي الْمَرَايَا الْمُنْخَوِّفَةُ الْوُجُوهِ
 لَكِنَّ الْوُجُوهُ تَعْدُدُ
 مِنْ أَيْنَ لِي ؟
 يَا دَارَ مَيَّةَ
 أَنَّهُ أَهَبَ وَأَنَّهُ أَخُوهُ

بِهِ الرِّوَاةُ الْهَبِيَّةُ

التفكير الرمزي

لمحمد المهدي المهري

الرمز - عامة - هو العلامة التي لا تعنى بذاتها ، وإنما توضع كمنبّه على أمر ما تدل عليه . وتكون هذه الدلالة إما بحسب التماثل وذلك باستخلاص الشبه القائم بينها وبين الموضوع المرموز إليه ، أو بحسب الإثارة ، أي متى وضع الرمز ، أثار في ذهن موضوعا ما ، إما لاقتراحه به في الوجود ، أو في العقل ، وإما لاتصافه بخصائص تكون مشتركة بينهما . ويكون هذا الاشتراك : لفظيا أو وجوديا أو وظيفيا أو نفسانيا ... إلخ .

وينتج الرمز عن حالات مختلفة من الوعي ، تقسم إلى فئتين مختلفتين من المباحث : الرمزية الفكرية والرمزية الانفعالية .

(الرمزية الانفعالية : 1- هي التي تحدث في شكل « إسقاط » ، أو « تصعيد » أو « تحويل » بالمعنى النفساني لهذه المصطلحات . وقد يكون ذلك محكوما بدرجة من الوعي ، كما نجده في الأدب الرمزي أو الفن ... وقد يكون بلا وعي ولا قصد ، وهو ذلك الناجم عن « اللاشعور » ، كما هو الحال في الأمراض العصبية وفي الرؤى والأحلام ، والأخطاء العفوية كزلات اللسان ...)

(الرمزية الفكرية : 2- وهي لا تتم ما دامت في حدود الفكر إلا عن قصد وتصميم ، أي عن روية واختيار من المفكر ليميز بها نسقه الفكري في درجة الفهم ، أي يعلو بفكرته إلى مرتبة من الفهم ، لا يمكن فك رموزها إلا في حدود تلك المرتبة وللرمزية الفكرية جانبان : الجانب الأول : معلق على الذات ، إذ أن من الناس من يميز بحركة فكرية نشيطة ، تتمثل فاعليتها في كونها حديث مستمر يقيمه

الإنسان مع نفسه . والقول المرتد بين الإنسان ونفسه من الطبيعي أن لا يكتمل ، لأن إتمام الكلام مع حضور المقصود سيفقد إضافة بلا فائدة . لهذا فإن المفكر سيقوم بتجريد الأفكار ، وهذا التجريد إذا كان لأفكار مختلفة فإنه يحصل ما تشابه منها حسب صفة ما أو علاقات مخصوصة ، فيعين ذلك في نسق فكري ، وإن كان لأفكار متماثلة أو متشابهة ، فإنه يميز فيها المحور والنواة ، أي أنه يجمع حسب نظام ما من كل فكرة ما إذا ذكر أو استحضرت معه الفكرة . ومن أمثال هؤلاء نجد من يكتب كتابات يتعذر فهمها على غير أصحابها .

أما الجانب الثاني : فهو يعزى لبعض الناس ذوي الحركية الفكرية النشيطة ، من الذين يملكون زمامها ويتصرف فيها كما يشاؤون ، أي لهم القدرة على تحويلها إلى رسالة مؤداة ، تراعى فيها مستويات الفهم المقصودة ، أدنى كانت أم عليا ؟ نجد فيمن برع في هذا الجانب من الناس الفكريين الإسلاميين - وذلك لترسّسهم على التأويل بدافع ديني - وقد تميّز منهم على الخصوص طائفة المعتزلة والمتكلمين والباطنية ... إلخ .

ويعتبر حجة الإسلام أبي حامد الغزالي أذكى مفكر إسلامي - على الإطلاق في من برع في سلوك هذا الطريق ، وهو يذكر في كتاب « ميزان العمل » أن الآراء ثلاثة أقسام : - رأي 1 يشارك فيه الجمهور فيما هم عليه - ورأي 2 يكون بحسب ما يخاطب به كل سائل ومسترشد - ورأي 3 يكون بين الإنسان ونفسه لا يُطلع عليه إلا من هو شريكه في اعتقاده .

وقد ذكرنا أن من أؤكد المؤثرات في الفكر الإسلامي هو الدين ، فبما يحتوي عليه من رمزية قد هيأ للعقل منبعاً للتأويل والبحث والتفسير والحجاج والجدال لا ينفد :

1 - الرمز والتأويل

يحتوي القرآن الكريم على العديد من الرموز المنقسمة إلى « رموز مطلقة » مثل فواتح بعض السور ، « الم ، كهيعص ، الر ، حم ، ق ... إلخ » وإلى « رموز ممثلة » ، مثل الآيات المتشابهات « ... على العرش استوى » ، أو

الأمثلة والمجازات والاستعارات ... من تلك التي يقتضيها البيان والكلام البليغ .
وكذلك قد ورد في السنة الشريفة ، ما يؤيد تواجد الرمزية في الدين ، مثل
معظم الأحاديث الواردة في الماورائيات ، أو في خصوص الذات الإلهية .
ومن ثم تحتم اللجوء إلى التأويل لفك رموز الدين ، وتبيين معانيه وتشريعاته
والتأويل مأخوذ من « الأول » - بفتح الهمزة وسكون الواو - وهو الرجوع ،
وبالتالي إرجاع اللفظ إلى ما يحتمله من معنى . ولما استعملت كلمة « تأويل »
بمعنى كلمة « تفسير » ، ذهب بعضهم إلى أنها بمعنى واحد ، ورأى آخرون
بأنهما يختلفان .

قال أبو طالب التغلبي : « التفسير بيان وضع اللفظ ، إما حقيقة أو مجازا ،
والتأويل تفسير باطن اللفظ ... فالتأويل إخبار عن حقيقة المراد ، والتفسير إخبار عن
دليل المراد ، مثاله قول الله تعالى : " إن ربك لبالمرصاد " ، تفسيره : إنه من
الرصد ... وتأويله : التحذير من التهاون بأمر الله ... »

ويزداد الإلحاح في طلب التأويل دقة وخطرا إذا ما اتصل بالذات الإلهية :
فالقرآن أثبت أن الله واحد ، وعلى المؤول أن يوضح كيف يكون له صفات وأفعال ،
وأحوال ؟ .

السبب الذي أدى إلى انبثاق أربعة مواقف من هذه المسألة ، كلها تقرّ التأويل ،
وموقف خامس لا يقرّه :

- الفريق الأول ، يبتدىء بالبحث والنظر - الافتراض العقلي والاستنتاج المنطقي -
حتى ينتهي إلى الرمز أو إلى كيانات رياضية ، ثم يطابق بعد ذلك بينها وبين ما جاء
في القرآن ، ثم يزعم أن الحق في كليهما واحد ، وما الرمزية الواردة في القرآن إلا
إشارات وتلميحات تشدّد التفكير وتحث على البحث وطلب المعرفة .

فبعد أن ينتهي بهم البحث - مثلا - إلى إثبات وجود الله ، يدّلون على أنه لا
يمكن إلا أن يكون واحدا في ذاته ، غير أن له أفعالا كثيرة تصدر بطريق الفيض ،
والكثرة لا تبتدىء من ذاته وإنما انطلاقا من العقل الأول الفاض عنه (...) وبالتالي

تراهم لا يغادرون رمزا إلا ليعتقوا غيره .

يعتق هذا المذهب أنصار الفلسفة المشائية وكذلك مذهب الإشراق والنزعات المتأثرة بالأفلاطينية .

- **والفريق الثاني** : ينتقل من رمزية النص إلى تأويله ، فيفسر - مثلاً - يد الله ، بقدرته أو كرمه أو إرادته ، وقد يفسر الكرم والرحمة بالجد والطف والوصل ... كما هو في اصطلاحات بعض الصوفية المعتدلين ، ونجد في هذا الفريق طائفة السنة ومن والاهم من الأشعرية ...

- **والفريق الثالث** : ينتقل كذلك من رمزية النص إلى تأويله ، ثم يقوم بتأسيس هذا التأويل بالبرهنة عليه ومصادقته بحجج عقلية وتمثيلية قياسية ، وهذا ما نجده لدى طائفة المعتزلة والمتكلمين ومعظم الشيعة .

- **والفريق الرابع** : يستعمل التأويل مطلقاً ، بلا ضابط أو محدّد ، وكأنما هو تحويل لألفاظ النص من معناها المعهود ، إلى مصطلحات خاصة تستعار من المذاهب والأنساق الفكرية ، وقد يكون ذلك نتيجة عرض مرضي يصيب الجهاز اللغوي . وهذا الحال هو حال الباطنية من الشيعة وصوفية الإشراق ، والمغالين من المتصوفة .

- **أما الفريق الخامس** : - والآخر - ، فهو يرفض التأويل مطلقاً ، ومن أنصاره المشبهة ، ومعظمهم من الحنابلة ، والخوارج ، وكثير من السنة . يقولون : لماذا ننفي عن الله شيئاً أثبتته لنفسه ، فما دام قد قال " يد الله فوق أيديهم " فله يد ، وما دام قد قال : " ابتغاء وجه ربي الأعلى " فله وجه ، ... والله شبيه الإنسان إذا كان قد " خلق الإنسان على صورته " كما ورد في الحديث ...

فيكون التأويل في هذه الأصناف الخمسة ، وعلى درجات أربع : بالنسبة للفلاسفة المشائين والإشراقيين والباطنية : هو عقيدة ، وبالنسبة للمتكلمين والمعتزلة : هو ضرورة ، وبالنسبة للسنة : هو تعبير وإيضاح لا لزوم فيه ، وهو عند الصنف الأخير : محض إذ يجب أن تؤخذ النصوص على ظاهرها (وكما لاحظ ابن حزم)

وبقدر أهمية هذه المسالك في أفراد المجموعات وتمييزها ، تكون أهمية التمسك بالتأويل . لذا نرى الباطنية والفلاسفة يسمّون أنفسهم : بأصحاب الباطن وبأصحاب الحقيقة والتأويل ...

وبما أن ما هو حقيقة عند الفلاسفة التأويل وليس المؤول ، أصبح التأويل عقيدة لديهم . وعوض أن يعتبر النص هو الأصل في التأويل أصبح التأويل يتقدم على النص في الفهم ، والفهم من العقل ، وهكذا يتخلص العقل تماما من النص ، إذ هذا ليس إلا مثالا ومنبها عن الحقيقة ، فإذا ما أدركنا الحقيقة بالعقل استغنيينا عنه . وهذا الاعتقاد هو الذي جلب تهمة « الكفر » إلى هذه الطائفة .

وكي نكشف عن عمق التفكير الإسلامي والقدرة الكبيرة التي أحرز عليها المفكرون من هذا التفكير الجدلي الذي يرتد بين النص والعقل ، حتى أمكنهم السيطرة على اللغة والكتابة سيطرة مكنتهم من أن يساهموا بقسط وثير ، وعظيم الأثر في تطوير الفكر البشري ، سأعرض إلى تلخيص أهم الطرق المتبعة في الترميز والتي غالبا ما تضمّن في القصص والرسائل .

2- الرمزية ووسائل التخفي

إن الرمزية تكون معقدة وغارقة في التعقيد ، بقدر ما تكون الضائقة شديدة . وقد يعود انتعاش الرمزية في العالم الإسلامي إلى الاعتقاد بأن اختلاف درجات الفهم تقتضي ما يناسبها من مستويات في الكتابة ، خاصة وأن القرآن قد استوعب رؤى وتفسيرات مختلفة أشدّ الاختلاف ، وكلّ يدعي أنه يمتلك التأويل الصحيح ، ولكن بالرغم من هذا فإن كل الفرق تقريبا تدور حول أصل واحد للدين وهو « التوحيد » ، وهذا ما ضمن للتاريخ الإسلامي وحدة ثقافية جامعة ومتميّزة وما الرمزية التي اتبعها الكتاب إلا لتبليغ آرائهم ، بطريقة تمنع عنهم أدنى وملاحقة الجماعات الأخرى المختلفة معهم . فالحرية الفكرية لا يمكن أن تكون قيمة اجتماعية بالارتكاز إلى نصوص دينية فقط ، بل يجب أن يدعمها السياسة أيضا ، وهذا هو الصعب إليك بعض الطرق في الرمزية الفكرية :

- **أولا :** التنافر بين المناهج المستخدمة في الكتاب (أو في الرسالة) - من طرق استدلال ، وترتيب كلام وبنية منطقية - من جهة ، والناتج التي يصل إليها من جهة أخرى : أي أن المفكر يضع نتيجة لأدلة ومقدمات تؤدي إلى نتيجة تغيّرها وقد تقابلها أو تتناقض معها . ومميّزات هذه الطريقة تتجلى في كون المتعود على التفكير المجرد يتبع المنهجية وطرق البرهنة فيصل إلى النتيجة المقصودة بنفسه . مثلا : من يعرف الحساب ، يستطيع أن ، فإن وضع شخص نفس $12 = 5 + 3 + 4$ يستنتج النتيجة من ترتيب مقدماتها ك : المقدمات ، ثم قال إن النتيجة ليست اثنتي عشرة ، فليس لقوله تأثير عند العالم بالحساب ، وإن كان ذلك يضلّل من لم يتعود عقله على التفكير المجرد ، لأنه يلاحظ ترتيب المقدمات فيظن أن النتيجة « الخاطئة » لازمة بالضرورة .

ومن باب إتباع الرمز - أيضا - أن لا توضع النتيجة أصلا ، إذ يحدث ذلك فراغا في فكر القارئ يسعى هو نفسه - وبجهد الخاص - لسنده ، فإن كان مولعا بالمجردات وضع ما يلائم ذلك الفراغ من نتيجة لازمة . وإن لم يقدر على ذلك فإما أن يستنتج شيئا في مستوى درجة تفكيره ، وإما أن يبقى مذبذبا ، أو أن يلقن من العارفين .

وعملية التلقين هذه ، لا يجدها الكتاب الرمزيون بل ينتهزون الفرصة حتى يكونوا هم الأولى بذلك ، مما يجعلهم في معظم الأحيان يضعون نتائجهم بأنفسهم

- **ألا** مت الاستدلال أم لم تلائم ؟ - ، وذلك كي يتحكموا في توجيه القارئ ، بأن يضعوا مثلا للناطقة المراد إقصاؤها وتغيب الغرض المقصود ، عنها ، نتيجة تطمئن إليها ولا تطلب غيرها ، وإن كانت (هذه النتيجة) في الحقيقة غير لازمة .

- **ثانيا :** التكلّم بلغتين متقابلتين : أي من جهة الصورة العامة والتعابير ، تكون المعاني الواضحة والمدرّكة من طرف الجميع هي المعاني التي تصادق عليها العامة ، أما المعاني الضمنية والمرمّزة فتحمل بين طياتها مقاصد المفكر ومراميّه .

ويمكن التعبير عن فاعلية هذه الطريقة بعملية « تحقيق » ، أو على أنه مدح في الظاهر قدح في الباطن ، وهذه الطريقة تُغَيَّبُ على القارئ - غير الفطن - هويّة المفكر .

- **ثالثا :** التأكيد على غرض الكاتب يدخل ضمن المصلحة البنيوية للثقافة السائدة ، ثم

اعتماد أساليب وترتيبات قولية تناهض هذه الثقافة أو تهدد عنصرا أساسيا فيها ،
كا اعتماد طريقة التوفيق التعسفي بين الدين الإسلامي والفلسفة اليونانية ، ثم تغليب
جانب الثقافة اليونانية على الثقافة الإسلامية أو محاولة صهر الدين في الفلسفة
حتى لا يبقى غيرها .

والغاية من هذا التوفيق هو إدخال الأهم في المهم والمرفوض اجتماعيا في
المقبول . وبالتالي فإن هذه العملية تمتص التضاد والفروق والمفارقات من أجل
انتزاع الشرعية للموضوع غير المعترف به من المعترف به : كالفلسفة اليونانية التي
لا يقبلها العوام إلا إذا ثبت موافقتها للدين .

– رابعا : توظيف العواطف والمشاعر لخدمة غرض يقصده الكاتب ، وكى يتكوّن
بينه وبين القارئ تفاعل عاطفي يُيسّر مرور الأفكار الهادفة إلى عقل المعني . كتحوير
حال الفيلسوف على أنه مؤثر للحق محب للخير زاهد في متاع الدنيا ، يعاني
الغربة والوحدة ... إلخ . كل ذلك تقريبا إلى نفسية القارئ ، وإحداث تصورات معينة
في خياله بتكرارها تتحوّل إلى معتقدات .

– خامسا : أن يمدح بلسانه ويذمّ بلسان غيره : فإذا ما ذكر شيئا تقبله العامة
قصرّ فيه القول ونسبه إلى نفسه ، وإذا ذكر شيئا لا تستصيفه ولا ترضاه ، أطنب
في شرحه وقلبه على جميع وجوهه ثم أوجز في نقده وذمّه ونسبه إلى غيره . وقد
يحصل هذا ضمن مؤلف واحد ، أو في كتب متباينة الغرض .

– سادسا : إظهار العلاقة المتينة بين مقاصد الكاتب وأهواء القارئ وشهواته
وميوالاته الفردية ، حتى يظن هذا إنما يبغي الكاتب خدمته ومنفعته وهو إنما وجد له
ومن أجله ، في حين قد يكون الهدف الأساسي هو تقوية النزعات الفردية لتحطيم
التكتلات وتفجير العصبية وتفكيك المجتمعات .

– سابعا : الإكثار من استعمال ألفاظ لا دلالة لها إلا في سياق الفلسفة والأنساق
الفكرية ، التي انبثقت وتولدت عنها ومنها ، بحيث من يريد الإحاطة بقصد الكاتب
يلزمه إكتساب ثقافة شاملة ومختلفة .

– **ثامنا :** اعتماد تشتييت المقاصد في كامل أجزاء القصة (أو الكتاب أو الرسالة) بحيث لو تعرض إليها القارئ مقصدا بعد آخر في سياق القراءة ، لما تسنى له الاستفادة منها ، وإنما لا تُحصل أهدافها ، ولا يعرف غرض الكاتب من وضعها إلا بتجميعها في الذهن وترتيبها ومقابلة بعضها ببعض .

– **ثاسعا :** التزام الأمانة والوضوح في مضمون القصة (أو الكتاب) ككل ، حتى يوافق ثقافة العصر ، ثم التصرف بعد ذلك : في الصيغ اللغوية وفي مواقع الكلام - من ألفاظ وعبارات ، وجمل ، واستشهادات ، وأخبار ... إلخ - وفي تعظيم بعض الأخبار والأحداث وتحقير بعضها الآخر ، أو إهماله وتبسيطه ، والتصرف كذلك في أساليب التعبير ، لتحويل الجدِّ هزلا ، والفكاهة عزما ، والغريب معهودا .. والمعروف منكرا ، واستعمال أساليب المبالغة في أمور يحتقرها المجتمع . وكذلك تشخيص الموافق والآراء والاتجاهات بحملها على نوات يتخيّلها الكاتب من بني الإنسان أو من الحيوان وقد يضع لها من الأسماء ما يتفق مع غرضه .

– **عاشرًا :** التنبؤ بفعل العقل وتوظيف تداعياته ، ويكون ذلك بإيراد ألفاظ تقتصر في الذهن بألفاظ أخرى ، أو بمعاني أو بأخبار أو حتى بأنساق فكرية كاملة ، حتى إذا ما تعقل القارئ معناها استحضر ما شابها في الرؤية أو ما تشترك فيه معها من دلالات .

وفي خاتمة هذا العرض العام ، أستحسن الوقوف عند نموذج للرمزية الفكرية للمفكرين الإسلاميين ، بالاعتماد على قصة « حي بن يقظان » لابن طفيل ، وذلك باستخراج أهم ما جاء فيها من طرف رمزية أذكرها في نقاط . (على أنسي أعِدُّ بدراسة (منهجية) لاحقة ، لهذه القصة الواردة في شكل رسالة) .

– 3الرمزية في قصة « حي بن يقظان » :

يؤكد ابن طفيل ، على أن قصته مصطبغة برمزية مقصودة ، فهو يقول في الفقرة الأخيرة من الكتاب : « ولم نخل مع ذلك ، ما أودعناه هذه الأوراق اليسيرة ، من الأسرار ، عن جانب حجاب رقيق وسرّ لطيف ينهك سريعا لمن هو أمله ،

ويتكاثف لمن لا يستحق تجاوزه >>

أجمل خصائص هذه الرمزية في النقاط التالية :

: ورود القصة في شكل رسالة 1 من شأنه أن يقرب الصلة بين القارئ والكاتب ، ومن شأنه - أيضا - أن يعطي للقصة مدلولاً إخبارياً له وقعه في نفسية السامع أو القارئ ، إذ أنه سيضيف على الأحداث من الواقعية والحركة ممّا سيسهر القارئ بأنّه طرف لا غنى عنه في كل ذلك .

- ورودها في شكل قصة 2 : يمكن الكاتب من تصوير الأحداث وتحريك الصور في المخيلة وتخلّصه من الأسلوب السردى المملّ ، بافتعال واقع خيالي لتطوير الأحداث مليء بعناصر التشويق . وهذه طريقة لافتكاك شرعية الدخول إلى قلب القارئ ، وبالتالي زرع الطمأنينة فيه والتحكّم في اعتقاده .

- التقديم للقصة 3 ، يهيء القارئ ويؤطر تفكيره ، فيوجّهه نحو وجهة واحدة يختارها له الكاتب ، ويخلصه بالتالي من الأحكام والظنون المسبقة . وكما أنه يسعى إلى إفراغ العقل من هذه الأحكام ، فإنه في المقابل يضع فيه بعض التقييمات والآراء الأولية والمباشرة ، حتّى يظن القارئ (غير المرغوب فيه) أن ما أورده الكاتب في القصة من مقاصد هو نفس ما أشار إليه في التقديم .

- الإزدواجية في رواية التولد 4 ، دليل على اتباع أسلوب ثنائي في ازدواجية المعنى الذي سيعتمده ابن طفيل . ونلاحظ أن هذه الثنائية تغطي كافة القصة : (السن سنين : عمر جسمي وعمر عقلي ، والمقصود هو العمر العقلي - الحقيقة حقيقتين : يمثل الأولى حي بن يقظان ، والثانية يمثلها أسال ، والحقيقة التي يمثلها حي هي المقصودة - والباطل باطلين : الباطل الذي عليه الجمهور والباطل الذي عليه سلامان - والقصة على تحوين : نظري وعملي - والإنسان على قسمين : كامل وناقص - (...) إلخ) .

- التدخّلات المباشرة للكاتب 5 - في ثنايا القصة - : وتفيد استدراكات منه لتغطية الغرض الأصلي ، وهذا التدخل إما أن يكون القصد منه الوصف

والإيضاح أو توجيه القارئ إلى معنى معين ، أو الاعتذار ، أو الجدل والخصام ، أو التمرية . والقصد من هذا الحضور في بعض المواقع هو إرهاب القارئ غير المرغوب فيه أو تضليله .

- اختيار مواضع الآيات القرآنية 6 ، لتوظيفها في غرض ما ، أو تسكينها وتهذبة للشعور الديني وبث الطمأنينة في المتدينين المتعصبين من القراء . ويدخل في هذا الباب أيضا ، الدعاء والجميل الاعتراضية .

- التعلل بقصور اللغة وفقرها 7 : وهذه الوسيلة ما هي سوى حيلة من الكاتب لتغطية أغراضه من ناحية والإحتماء بإمكانية التأويل من ناحية أخرى ؛ وإلا كيف تحصل الفكرة في الذهن واضحة جلية ولا يواتيها التعبير ؟؟ سوى أن تكون هذه الفكرة مختلطة وباطلة ، أو أن يتهرب الكاتب عن الإفصاح المباشر . لأن ما يُعجز اللغة في الحقيقة هو ذلك الذي لم يتبينه الذهن ولا صقت معرفته في العقل (مثل العواطف والمشاعر لكونها حالات تخص الذات الفردية فلا يتأتى للإنسان التعبير عنها بكامل الصدق)

- تقابل آراء الكاتب في المسألة الواحدة 8 : (كنم الفلاسفة وتبنّي أرائهم ، واتهام العقل بالقصور والاعتماد عليه بل وتقديمه على كل ما سواه من الملكات ، وتقديس الدين وتزكيتة ثم انتقاد بعض ما جاء فيه ... إلخ .) . فمن شأن هذه العملية أن تزرع التذبذب في عقل من يريد الوقوف على موقف واضح لابن طفيل بغرض الإيقاع به ، لأن صادق النية ، سينتقي الحق من القصة - بعد بحث وغربة واقتناع - لذلك لا تهمه مواقف ابن طفيل ولا وجهة نظره ولا شخصه . وأما سيء القصد فسيبحث على مأخذ في سياق القصة يتهم بها الكاتب ، فإذا ما كان القول مختلفاً أو يبدو متناقضاً ، فإن باب التأويل سيفتح عندئذ على مصريه . وسيجد الكاتب منجاته في ذلك .

- القول بتمايز العبادات 9 : وأن الذين تكتمل فيهم الرتبة الإنسانية هم أصحاب الحق الذي لا « جمعة » فيه ، أما الآخرون فعلى باطل وتتقصهم ملكة

التمييز لقربهم من الحيوانية : وتكمن الغاية من هذه الطريقة في توظيف غرور الناس من ناحية ، إذ من سيجرؤ على الاختلاف مع « الفلاسفة » ومعارضتهم سيئتهم ابن طفيل بأنه من صنف الحيوانات غير الناطقة . ومن ناحية أخرى بغرض التشقي من الخصوم بالظعن في مقدرتهم العقلية .

- القول بأن : « الغاية من كتابة القصة هو كشف السر »¹⁰
« ... تم التصريح « بأن القصة مغطاة بالأساليب الرمزية » ، هو قول الغرض منه ، تشويق القارئ من جهة ، ومن جهة أخرى ، حملهُ على أن يبذل مجهودا إضافيا لفهم مقاصد الكاتب منها وفيها .

- يعتبر اعتذار ابن طفيل لإخوانه في الاعتقاد¹¹ إقرار منه ، بأن الكشف عن السر قد يعود عليه ، وعلى أمثاله بالضرر . وأنه كذلك قد يضرر بالعامّة التي هي - بحكم نقص في طبيعتها - غير مؤهلة لذلك . وفي هذا الإقرار تأكيد على عناصر التشويق في القصة التي تحوكت قراعتها إلى مغامرة خطيرة .

- اختيار أسماء الأبطال¹² للدلالة على شخصية كل بطل منهم ومنزلته : ورغم أن هذه الخاصية مضمرة في القصة ، إلا أنه لا يمكن لابن سينا أن يطلق هذه الأسماء على أبطال قصته دون أن تحمل مدلولاً ما يقصده ، لا يمكن لابن طفيل ، أن يستعمل هذه الأسماء دون أن يكون مطلعاً على مقصد ابن سينا ، أو دون أن يلبسها من المعاني ما يهدف بها إليه :

1 - « حي بن يقظان » : « حي » يقصد به « العقل » ، لأنه لا معنى للحياة الإنسانية عند المفكرين الإسلاميين سوى الإدراك ، وعند تمام الإدراك العقلي البرهاني تكتمل الحياة . أما « ابن يقظان » فهو يرمز به إلى الأصل الذي انحدر منه العقل أو صدر عنه وهو « العقل الفعّال » ، الذي هو على علاقة بما يجري في العالم الأرضي ، والساهر على تنظيم عالم الكون والفساد ، لذلك فهو برى عن الغفلة أو الإغفاء ، كما أنه في علاقة فيضية أبدية بالعقول السماوية

حضور العقل الدائم عند ذاته باستمرار . فبين العقل والالوهية نسبة جوهرية .
ب - « أسال » : هو أمر لفعل « سأل » (بالتخفيف) ، وقد يعني - به - ابن
طفيل ، ذلك الشخص الكثير السؤال والمولع بالبحث والمستكنة للأسرار ، والسؤال
هو نصف العلم ، لهذا كان « أسال » قريب من « حي » الذي يمتلك العلم كله
ج - « سلامان » : مشتق من فعل « سلم » ، وهو يوحى بالسلامة ،
و« سلامان » في القصة ، يمثل شخصية رجل يؤثر الطمأنينة والركون إلى
الراحة وهناء البال والرغبة الجامحة في دعم نوام الحال واستقرار الأحوال . إذ
هو من الأعيان ومن المقربين من السلطان .

د - « الضبية » : الإنسان يرجع إلى الحيوان كما يرجع النوع إلى الجنس ،
بل لا يختلف الإنسان عن الحيوان إلا بامتلاكه للحقيقة العقلية . لذلك نجد من
المفكرين الإسلاميين من يحرم على نفسه أكل اللحوم ، لاعتقاده هذا الاعتقاد ،
وتأثرا ببعض المذاهب الهندية . وابن طفيل عندما يصنف الماكل المباحة لـ « حي » ،
فإنه يضع لحم الحيوان في الدرجة الأخيرة ، ولا يبيحها له إلا إذا عدم الماكل
: « فإن عدم هذه ، فله أن يأخذ من الحيوان أو من 137 الأخرى ، يقول ص
بيضه ، والشرط عليه في الحيوان أن يأخذ من أكثره وجودا ، ولا يستأصل منه
نوعا بأسره » ، أليس في هذا القول ، صياغة لقانون في الرق بالحيوان ؟

- الخاتمة :

لا تكمن أهمية المفكر في كونه يقول « الحقيقة » ، أو ينجح في تفسير وشرح
(والبرهنة على) « الحقائق » المعترف بها أو المسلم بها على أنها كذلك . بل قد
بجانب الصواب في بعض الأحيان ، وقد يخطيء في كثير من أرائه . بل تكمن
أهميته في تقويماته وتقديراته : إذ هو لا يزن المكاسب إلا بما هو أفضل ، ولا يرى
الأفضل إلا فيما لم يتحقق بعد . ثم إن له قدرة على كشف الأخطاء والعيوب لا
توجد لغيره من الناس ، بالإضافة إلى أنه لا يتندع لقول ، ولا تتركه عادة ولا
يطمنن لما لوف ، ولا يأمن للعبيد من بني البشر ، لأن العبد كلما ارتفع أكثر في سلم

المسؤوليات كلما كان قاسيا أكثر على الأحرار ممن تحت سلطته والغرور هو أبعد السيمات عن المفكر والتواضع هو أقرب الشيم إليه ، إذ تجده يدافع عن الحيوان أو عن النبات أو عن الطبيعة أو عن غير المحظوظين من الناس بكل حماس متحملا في ذلك المضايقات فضلا عن الاستخفاف واللوم .

ونظرة المفكر الممتدة نحو المستقبل هي من البعد بحيث تثقب الزمن بحدس عقلي وعاطفي يخصه وحده . وعندما يكون غيره في غفلة من أمره ، ويظن أن الأرض قد استوت له ودانت قطوفها ، وسكنت وجوشها . يرتقب هو ثورة الزمن وهي على عجلة من أمرها لتضع « المرتفع » وترفع « الوضع » ، فيتنذر بذلك ويدعو إلى أقوم الطرق وأنجم الوسائل المفيدة في التحوط والحذر لاستقبال الأوضاع الجديدة . إن لكل مفكر عدوين رئيسيين : الاستبداد ، والرأي السائد . الأول يضيق بالأحرار ولا يحتمل خروجهم عن « نظام الصمت العام » أو انزواؤهم عن « القطيع الموافق بالإجماع » واختلافهم (عنهم) . أما حراس الرأي السائد فهم يخشون الجديد ، والمختلف والمعارض ، بل لا يدعمون إلا الرأي المتفق عليه أو بالأحرى ذلك الرأي الموروث أو المنفوث من أفواه السحرة من المنومين الديماغوجيين وقد سبق لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي ، أن أثنى على أسلوب المفكر وامتدح الالفاظ التي يعتمدها في النقد ، فهو يقول : « .. ولو لم يكن في هذه الالفاظ إلا ما يشكك في اعتقادك الموروث لكفى بذلك نفعا ، فإن من لم يشك لم ينظر ، ومن لا ينظر لم يبصر ، ومن لم يبصر ، بقي في العمى والحيرة .. » /

قراءة في مهجيات المتنبي

2

2 (التشكيل الزمني الداخلي (الإيقاعات) :

إن كان للقصيدة إيقاع خارجي (الإطار الموسيقي الخارجي / الوزن) وإيقاع داخلي (البنية الموسيقية الداخلية) فأي الإيقاعين أكثر إفصاحاً من صورة الشاعر ؟

لقد كان القدامى وعلى رأسهم الخليل بن أحمد وازع العروض يجمعون على أن لكل وزن أو مجموعة من الأوزان طابعاً نفسياً (حالة حزن ، حالة بهجة ...) يختاره الشاعر تبعاً للحالة النفسية التي يريد التعبير عنها ، غير أن هذا الرأي قد لا يستقيم لأسباب لعل منها :

- إن الوزن الذي اخترعه شاعر معين للتعبير بصدق عن حالته الشعورية قد أصبح صورة مجردة تحمل دلالة مهمة يصعب أن نتلمس من خلالها شخصية الناظم فيها .

- إن الشعراء الذين جاؤوا - بعد المخترعين الأول للوزن - قد وجدوا أطراً موسيقية جاهزة حدثت من حرية اختيارهم .

لكن إن قلنا إن هذا الرأي لا يستقيم معطين فكيف نفسر ابداعات التابعين ؟
إن الوزن - وإن حمل كما رأينا دلالات انفعالية - لا يرقى إلى مستوى الدلالات
الانفعالية التي نجدها كامنّة في الإيقاع الداخلي الذي يشكّله الشاعر تبعاً لحالته
النفسية ويتوزّعه غير المطّرد للنبرات العادية القويّة والضعيفة مع وقفات أطول أو
(، وهذه أمثلة من مهجيات أقصر مع صعود وهبوط في الشدة الصوتية)
المتنبّي :

- قصيدة في هجاء ابن كيغلغ مطلعها :

لهوى القلوب سريرة لا تعلم

عرَضاً نظرتُ وخلتُ أني أسلم

تبدأ المهجيّة نفساً شعرياً هادئاً ثمّ تصعد وتنزل (البيت الأوّل) البنية الصوتيّة
المستقطبة (عرضاً ونظرتُ) ثمّ الصعود في كامل البيت الثاني ، ثمّ المراوحة بين
الصعود والنزول (مع العلم أن الأبيات الحكيمية والتأملية هادئة عادة) إلى أن
يصل الشاعر إلى المهجور فيصعد صوته ثمّ ينزله في آخر بيت (حكيم) .
- قصيدة في هجاء كافور مطلعها :

عيد بأية حال عدت يا عيد

بما مضى أم لأمر فيك تجديد ؟

تقوم القصيدة على ثلاث ظواهر صوتيّة :

- * الأصوات الممنودة : ثمانى مرآت في البيت الأوّل وست في البيت الثاني وثمان
- في البيت الثالث وست في البيت الرابع (تصوير الحالة النفسية المتأزّمة) .
- * كثرة الدالات في البيت الأوّل ثمّ كان تناقصها (تصوير الحالة النفسية المتأزّمة)
- * الأصوات الصاعدة تتخلّل قسم الهجاء (غضب / توتّر) .

- قصيدة في هجاء كافور مطلعها :

أكل ماشية الخيزلّى

فدّى كلّ ماشية الهنّديّ

تقوم على أصوات ممدودة هادئة ثم تصعد وتشتد (ولكنهن حبال الحياة / ضربت بها التيه) بالغة مداها الأقصى في الفخر (لتعلم مصر) ثم تبدو شبيهة هادئة في الهجاء (ونام الخويدم) ثم تكون المراوحة بين الصعود والهدوء (وماذا بعصر من المضحكات / شعر مدحت به الكركدن) ثم السكون / الهدوء في آخر بيت حكيم .

– قصيدة في هجاء ضبة مطلعها :

ما أنصف القوم ضبّه وأمه الطرببّه
صعود الأصوات : الأبيات كثل متراصة ، تكرار عبارات (ما عليك / التفضيل /
جمل الشرط ...) لتبقى القصيدة تحمل نفس الشحنة الصوتية المرتفعة (هجوم
كاسح) .

(التشكيل المكاني : الصور : 3

لقد حاولنا في الفقرات السابقة أن ندرس بنيتي المهجبة (الخارجية : التشكيل
الزمانى الخارجى للقصيدة والداخلية : التشكيل الزمانى الداخلى ، وشبكة
الضماثر) مقرّين العزم فى هذه الفقرة على أن نكمل دراسة البنية الداخلية
بالوقوف عند التشكيل المكاني للقصيدة الهجائية (الصور الشعرية ووسائل
رسمها) .

إن قراءة متأنية للمهجيات مقطوعات وقصائد تمكن من تحديد تشكيلات مكانية
حسية معنوية كثيرة ، نكتفى بذكر نماذج منها :

1 - من الصور الحسية :

* الشنوذ الجنسى

يمشي بأربعة على أعقابـه

تحت العلوج ومن وراء يلجـم

يا أطيب الناس نفسا

والسين الناس ركبـه

يحمي ابن كيبلغ الطريق وعرسه

ما بين رجليها الطريق الأعظم

أقيم المساليح فوق شُفر سَكِينَة

إنَّ المُنْيُ بحلقتيها خَضِرِم

هُمُّكَ فِي أَمْرٍ نَقَلْتُ فِي

عَيْنِ دَوَاةٍ لَطَلِيهِ قَلَمُكَ

* الكاريكاتير

وجفونه ما تستقر كائنها

مطروفة أو قُتْ فيها حصنرم

وإذا أشار محدثا فكأنه

قرد يقهقه أو عجوز تظلم

وأسود مشفره نصفه

يُقَالُ لَهُ أَنْتَ بِدَرِ الدَّجَى

وشعر مدحمت به الكركدن

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

بين القريض وبين الرقي

من كل رخو وكاء البطن منفتق

لا في الرجال ولا النسوان معبود

وأن ذا الاسود المثقوب مشفره

تطيعه ذي العضاريط الرعايد

وتعجبني رجلاك في النعل أني

رأيتك ذا نعل إذا كنت حافيا

ويذكرني تخبيط كعبك شق

ومشيتك في ثوب من الزفت عاريا

ب) من الصور المعنوية / الذهنية : البخل ، الطعن في النسب ، الجهل ، الغباوة

الحمق ، الذل ، اللؤم ، الجبن ، الكذب ، الغدر ...

- ولو كنتم ممن يدبر أمره

لما كنتم نسل الذي ما له نسل

- وليس جميلاً عرضُك فيصونه

وليس جميلاً أن يكون جميلاً

ويكذب ما أذللته بهجائه

لقد كان من قبل الهجاء ذليلاً

- قالوا لنا مات اسحاق فقلت لهم

هذا الدواء الذي يشفي من الحمق

- يا صاحب الجذث الذي شمل البرية

جوده لو كان لؤمك جوداً

- إنني نزلت بكذابين ضيفهم

عن القبري وعن الرجال محبود

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

إن كانت صور المهجورين المعنودين من عليّة القوم في القرن الرابع شنيعة منكرة

فكيف كان عصرهم وحاشيتهم ورعيتهم ؟

إن المتنبّي ، وإن رسم عصره من خلال مهجويه ، فقد أفرد صُوراً لهذا

العصر ، منها :

- سادات كل الناس من نفوسهم

وسادة المسلمين الأعباء القرم

أغاية الدين أن تحفوا شوايركم

يا أمّة ضحكت من جهلها الأمم

- حصلت بأرض مصر على عبيد

كأن الحرّ بينهم يتيم

كانَ الأسود اللّذي في فيهم
 غراب حولَه رُخَم ويوم
 صار الخصي أمام الأبقين بها
 فالحرّ مستعبد والعبد معبود
 نامت نواطير مصر عن ثعالبها
 فقد بشعن وما تفنى العناقيد
 وماذا بمصر من المضحكات ؟
 ولكنّه ضحكك كالبكاء
 ثم ركّز بعض مدحياته ومرثياته بقوله :
 - ودهرُ ناسه ناسُ صغار

وإن كانت لهم جُتْ ضِخَام
 - أتى الزمانُ بئوه في شيبته
 فسرفهم وأقنّاهم على الهرم
 - وما أنا منهم بالعيش فيهم
 ولكنّ معدنُ الذهب الرُغَام

أما وسائل تشكيل هذه الصور ، وإن كانت المفردات فالعبارات فالنص فإنّ
 المتنبي قد استطاع أن يتلاعب بها مُقَدِّدا إياها حقيقتها الطبيعية مُصيغا بها بدل
 ذلك صورا جديدة وفقا لتصوراته الخاصة فكانت لوحاته - وإن تراءت واقعية أحيانا
 - عالمًا من الأفكار تبرز مواقفه ابرازها هيئات المهجوين الشاذة والقيم الغريبة التي
 بها يؤمنون ويعملون ، ولعل أهمّ هذه الوسائل المشكلة للصور ، إضافة إلى
 المشهور منها (التصغير ، المبالغة والتحويل ، التشبيه ، التفضيل ...) المقابلة التي
 أبدع فيها إبداعا قلّ مثيله يمكن التدليل عليه من خلال ثلاثة مستويات لاستعمالها
 (المقابلة) : عادي ، عميق ، أكثر عمقا .

* تحتلّ المقابلة في المستوى العادي مكانا في الجملة أو في الوحدة :

وَأَسْوَدَ مَشْفَرٍ نَصْفَهُ

يقال له أُنْتُ بِدَرِ الدَّجَى

* تحتلُّ المقابلة في المستوى العميق قسمين (متعارضين) من القصيدة : المطلع

فخر في المتن هجاء ، يقول المتنبي في هجاء ابن كروس ذات المطلع :

عَذِيرِي مَنْ عَذَارَى مِنْ أُمُورِ

سَكَنَ جَوَانِحِي بِدَلِ الْخُدُورِ

مفتخراً أولاً :

أَعْرَضُ لِلرَّمَاكِ الصُّمِّ نَحْرِي

وَأَنْصِبُ حُرَّ وَجْهِي لِلْهَجِيرِ

وَأُسْرِي فِي ظِلَامِ اللَّيْلِ وَحْدِي

كَأَنِّي مِنْهُ فِي قَمَرٍ مَنِيرِ

ونفس لا تجيب إلى خسيس

وعين لا تدار على نظير

وكف لا تتأزعزع من أتان منسي

يُنَازِعُنِي سَوَى شَرْفِي وَخَيْرِي

هاجياً ثانياً :

فَيَا أَيْنُ كَرَّوسٍ يَا نَصْفَ أَعْمَى

وإن تفخر فيا نصف البصير

تُعَادِينَا لِأَنَّا غَيْرُ لَكِن

وَتُبْغِضُنَا لِأَنَّا غَيْرُ عَوْد

فَلَوْ كُنْتَ أَمْرًا يُهْجَى هَجُونًا

وَلَكِنْ ضَاقَ فِتْرٌ عَنْ مَسِيرِ

أو تنبئ (المقابلة) في قسم واحد محدثة تعارضين متداخلين : هجاء في مدح ، قد

تفصح عنها قصيدة هجاء ابن كيغلغ التي مطلعها :

لهوى القلوب سريرة لا تعلم
 عرضاً نظرتُ وخلصتُ أني أسلم
 يقول المتنبي هاجبا ابن كيبلغ مادحا أبا العشائر :
 وأرغتُ ما لأبي العشائر خالصا
 إنَّ الشَّاءَ لمن يُزار فيتُعم
 ولن أقمّتَ على الهوان ببابه
 تدنو فيوجأُ أخدعك وتنههم
 ولن التقتِ الكمأة بمأزق
 فتصيبه منها الكميّ المعلم
 ولربما أطرّ القناة بفارس
 وثني فقرمها بأخر منهم
 والوجه أزهى والفؤاد مشيع
 والرمح أسمر والجسام مصم
 * تحتلّ المقابلة في المستوى الأعمق سدى القصيدة ولحمتها أي أن يكون سدى
 القصيدة هجاء ولحمتها مدحا (الظاهر الباطن) كالنونية الشهيرة التي مطلعها :
 عدوك مذموم بكل لسان
 ولو كان من أعدائك القمران
 والتي سداها مدح / رثاء خفي لشبيب الفتى الشجاع (عدو كافور) ولحمتها
 (الظاهر) مدح لكافور ، هجاء لشبيب ، ولعلّ الأبيات التالية تفصح عن ذلك :
 - مدح كافور ظاهرا هجاؤه باطنا :
 ولله سرّ في علاك وإنما
 كلام العدى ضرب من الهذيان
 اتلتمس الأعداء بعد الذي رأيت
 قيام دليل أو وضوح بيان

رأت كل من ينوي لك الغدر يُبْتلِي
 بغدر حياة أو بغدر زمان ...
 - هجاء شبيب ظاهرا مدحه / رثاؤه باطنا :
 وما كان إلا النار في كل موضع
 تثير غبارا في مكان دخان
 فنال حياة يشتهيها عدوه
 وموتا يشهّي الموت كل جبان
 نفى وقع أطراف الرماح برمح
 ولم يخش وقع النجم والدبران
 ... وقد قتل الأقران حتى قتله
 بأضعف قرن في أذل مكان
 أنت المنايا في طريق خفية
 على كل سميع حوله وعيان
 ولو سلكت طرق السلاح لتردها

بطول يمين واتساع جنان
 لقد حاولنا في هذه المداخلة المتواضعة أن نلمّ بغرض الهجاء في شعر المتنبّي
 (كما ويُنَى) على ضوء المناهج الحديثة في النقد ، هدفنا الاسهام في دراسة هذا
 الشاعر الكبير اسهاما يرضي الذات المفتونة بالقلق رافض عصره ، ويساعد
 التلاميذ والطلبة على تبين بعض مظاهر الابداع الشعري لدى هذا الهرم وقد يحفز
 الباحثين على نقد محاولتنا والكشف عن دُرر الأساليب والمعاني التي ما زال ديوان
 زبي الطيب يضمها ، على وفرة الدراسات ...

المصادر والمراجع :

انظر صفحة : 90

الطفل بين أزمة الكتابة وخصائص الإبداع

بقلم : الأزهري النفطي

يقول الشاعر السوري الكبير سليمان العيسى في مقدمة ديوانه ، « غنوا يا أطفال » :

لماذا نكتب للصغار ؟

لأنهم فرح الحياة ومجدها الحقيقي ، لأنهم المستقبل ، لأنهم الشباب الذي سيملا الساحة غدا أو بعد غد ، لأنهم امتدادني وامتدادك في هذه الأرض ، لأنهم النبات الذي تبحث عنه أرضنا العربية لتعود إليها بورتها الدموية التي تعطلت ألف عام وعروقها التي جفت ألف عام بل أكثر <http://Archivebeta.Scribd>

من الناحية المنهجية حددنا عناصر هذا العمل في ثلاثة محاور رئيسية :

أ - علاقة الطفل بالكتابة الموجهة له .

ب - أزمة الكتابة الموجهة للطفل .

ج - خصائص الأعمال الإبداعية الموجهة للطفل .

* علاقة الطفل بالكتابة الموجهة له :

كاتب الطفل الحقيقي لا ينم إلا على فكرة ولا يصحو إلا على أخرى ولا تفارقه المذكرة والقلم أينما ذهب .

على هذا الأساس ، يقول الكاتب المصري الكبير عبد التواب يوسف الذي كتب حوالي 200 كتاباً موجهة للطفل في حوار نشر بمجلة العربي العدد 407 ص 69 أكتوبر 1992 : « إنَّ الطفل في البلاد المتقدمة يقرأ في مرحلة الدرس

كتابا ولكي تجعل كتابك مقروءا يجب أن تزاخم هذه الكتب حتى 600 حوالي تجد لك مكانا وسطها لأن طاقة الابتكار لا تهدأ في أدب الأطفال» .

إن الكتابة للطفل تقوم على ثوابت تسعى من خلالها إلى محاكاة أسلوب الطفل الطبيعي في تكرار الجمل والألفاظ عند قص الخبر أو رواية الحدث المثير لتثبيت المعاني في ذهن الطفل تثبيتاً لأن أدب الطفل في نظرنا هو الرسالة أو القناة الموجهة نحو استكمال مجهود التنشئة الاجتماعية والتربوية داخل البيت الأسري والمحيط الاجتماعي والمؤسسة المدرسية لكن تركيز كاتب الطفل على الحديث للأطفال عن المغامرة والشجاعة والبطولة وتحويل الكتب إلى منابر للوعظ والإرشاد جعلنا معشر القراء نتساءل عن السبل الميسرة لانتشار الكتابة الموجهة للطفل وعن مدى علاقته بها لأن أدب الأطفال من وجهة نظرنا فلسفة تستند إلى الواقع الاجتماعي والفكري بالنظر لشخصية الطفل التي تتشكل من خلال الكتابة الموجهة له وذلك في نصوص تقوم على أسس علمية معرفية تبعد بالطفل عن السطحية والسذاجة والفجاجة وتسعى إلى إرضائه وتغذية خياله وإبراز ملكاته بلغة تجمع بين سهولة الفهم وشد الانتباه وتنشيط يقظة الحس لأن الكتابة للطفل تتطلب رؤية فكرية وفنية تقوم أساساً على مراعاة المراحل النمائية للطفل ومعرفة الحياة النفسية لديه : « فآدب الطفل ليس لعبة ولا تسلية ، ليس تجارة بل مسؤولية فوق كل مسؤولية » حسب تعريف الكاتب نزار نجار بمجلة العربي العدد 413 أبريل 1993 ص 180 أمّا عن علاقة الطفل بالكتابة الموجهة له فنكمن أساساً في مدى اجتهاد الكاتب من خلال قدرته على ربط الصلة بالناشئة وفي مدى براعته في كتابه النص الملائم لذهن القارئ الصغير مع مراعاة سن الطفل ومحتوى المادة المقدمة له كذلك الشكل الذي تقدم به المادة لقارئها الصغير ويتعلق الأمر ببساطة العبارة وسهولة فهمها وقصر الجملة وتجنب التعقيد والتطويل والاكتفاء في وصف المواقف والأماكن بماقل ودلّ إلى جانب العناية بجمال الأسلوب ووضوحه ودقته في التعبير عن محيط الطفل المعاصر ومشاغله العائلية والمدرسية وعلاقته بزملائه وبالكبار وبالحَيوان الأليف

وبالأشياء المحيطة به التي تأخذ الكثير من وقته وتشكل طرفا من نمو وعيه وعلاقاته
بالبالغين كالترفيه والراديو والكتاب واللعب الالكترونية ...

ومن أؤكد الواجبات شكل النص فنيا بالنسبة للصغار دون العاشرة وجزئيا لما
فوق ذلك دون أن ننسى الكلمات والصور والرسوم وكلما يجسد المعاني والمواقف
لأن الطفل معايير وخبرته التي يكتسبها على مر الأيام .

كما تبرز علاقة الطفل بالكتابة الموجهة له بمدى تدقيق الكاتب في توظيف الكتابة
الفنية في نحت النصوص الشعرية والنثرية الموجهة للطفل كي تتماشى وضائقته
الطورية وذاكرته المعرفية وحالته النفسية وظروفه الاجتماعية لأن الكاتب في تجربته
الأولى للكتابة للأطفال لا يعلم كيف يجب أن يبدأ وعن ما يمكن أن يتحدث (اكتب
واغلط) وذلك بقضاء الساعات الطويلة في الحذف والإضافة كي يظفر بالنص
الملائم لطبيعة الطفل وبالتالي كتابة نص يجمع فيه المبدع بين الخيال والحواس
لتصل ثلاثية الفكرة المركزية والصورة الشعرية أو القصصية والصورة الحسية
البصرية التي تبلغها وبكل أمانة ومسؤولية عبر جسور النص لذهن المتلقي الصغير
دون إرهاقه بالبحث عن مصابيح الشكل والمضمون <http://www.archive.org>

يقول الكاتب المصري عبد التواب يوسف : « نحن لسنا بحاجة فقط إلى كتب
لكننا بحاجة إلى أن ندرك جيدا ماذا نقول للطفل من خلال هذه الكتب ».

* أزمة الكتابة الموجهة للطفل :

يقول الكاتب المغربي أحمد عبد السلام البقالي في كتابه : « تنمية كتابة
الطفل » : (إذا كان الكاتب متحمسا لما يكتب مستغرقا فيه بجميع مشاعره متمتعا
بجميع مشاهد وأحداثه فإن عدوى ذلك الشعور ستنتقل حتما إلى قرائه
فيضحكون لضحكه ويبكون لبكائه وينفعلون لانفعالاته . أما إذا كان يكتب ليؤدي
واجبا ثقيليا أو ليتخلص من نص ينتظره الناشر فالأحسن أن يتوقف عن الكتابة
إلى أن تعود إليه الرغبة والحماس إذ لا يمكن أن نكتب قصة اجتماعية واقعية
بأسلوب الخيال العلمي ولا قصة بوليسية بأسلوب شعري صوفي) .

على هذا الأساس الكتابة للطفل ليست بالأمر الهين واليسير بل تعتبر من الأمور الصعبة التي تتطلب من الكاتب الكثير من التركيز والاهتمام والبحث المتواصل لأنها قواعدا، وضوابطها الفنية والتقنية فهي تتطلب من الكاتب أن يكون متسلحا بخبرة واسعة وبتجربة عميقة في ممارسة فن الكتابة كي يقدم لناشئتنا نصا ينفع ويمنح القارئ الصغير الغبطة والفرح الجميل .

فحاجة الطفل لعمل متكامل يساعد على بناء ثقافته تستدعي من الكاتب التفرغ الكلي للبحث والكتابة والتأليف لإنجاز النص المنشود الذي يثري حياة الأطفال وينير فكرهم ويبعد بهم عن دائرة الوعظ والارشاد التي تطارد كاتب الأطفال في حله وترحاله بل هي في واقع الأمر التأشيرة الضرورية لنشر الكتاب عندما يطلب منك الناشر ويكل إلحاح أن تضيف في نهاية المخطوط بضعة سطور أو فقرة في الوعظ والارشاد كي يتسنى إدراج الكتاب في قائمة الكتب المدرسية .

فلقد انقرض الأديب المعلم من جميع أنحاء الدنيا ما عدا العالم الثالث . ولتجاوز هذه الأزمة يجب أن تتحول كتب الأطفال إلى نوع من القصص الخالص وأن تطبق عليها كل قواعد النقد لا المقياس التربوي فقط، على هذا الأساس ، لابد من استنفار تجارب الكاتب الحياتية وتحويلها بمعرفته إلى أعمال أدبية نابضة بالحياة والواقعية وابتكار الشخصية وخلق وظيفة لها في النص بمهارة وذكاء . والملاحظ أن هنالك جمعا ضخما من إنتاج كتب الأطفال في العالم : فما هو نصيب الطفل العربي من هذه الكتب ؟

في سنة 1988 كانت الولايات المتحدة الأمريكية تنتج 2500 كتابا للأطفال في السنة ثم قفز الرقم في سنة 1992 إلى 5000 كتابا في السنة وذلك بمبالغ استثمار تقدر ب 260 مليون ديناراً مقابل 150 كتابا تنشرها المطابع العربية في السنة . وقد قدم لنا الدكتور عبد الحميد الهلالي في رسالة جامعية أنجزها حول « الطفل نصيبه في وسائل الإعلام العربية » نسبة ما يقرأه الطفل من كتب خارج المدرسة فلاحظ الباحث أن في الاتحاد السوفياتي سابقا يقرأ الطفل

كتابا وفي مصدر 6,3 كتابا في السنة وفي الولايات المتحدة الأمريكية 3,4 نسبة كتابا بينما لا يتجاوز نصيب الطفل العربي نسبة السطر 7,8 آخر
وفي إطلالة على حجم المجلات والوريات والنشريات في الوطن العربي من خلال دراسة الأستاذة نافلة ذهب « صحافة الطفل في الوطن العربي » المنشورة بمجلة الثقافة العربية عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم سبتمبر 1991 لاحظنا أن 62٪ منها حجب أو توقف عن الصدور فماذا نكتب لأطفالنا؟ نتحدث إداره المطالعة بوزارة الثقافة في تونس عن 43 عنوانا مستوردا بنسبة 36 ألف كتابا و 80 ألف مجلة في السنة .

وفي سياق أشمل نتحدث الدكتورة مبروكة عمر محيريق وهي باحثة جامعية ليبية عن المكتبات المعدة للطفل قبل المرحلة الأولى في الوطن العربي ووردها في بناء الشخصية الإبداعية فترصد 130 مدرسة ابتدائية و 33 مكتبة للأطفال بدولة الإمارات العربية و 11275 مدرسة ابتدائية و 7115 مكتبة للأطفال بالعراق و 2364 مدرسة ابتدائية و 613 مكتبة بالجمهورية بينما لم تتحدث الباحثة عن نواة المكتبات الموجودة بالمدارس الابتدائية الموجودة بتونس وللتذكير لابد أن نشير إلى مكتبة مدرسة كلود برنار ومجلة سبيل المعرفة التي كتب فيها الأطفال ويكمل حرية وأدارها لزمّن طويل الأديب الطيب الفقيه أحمد .

* خصائص الأعمال الإبداعية الموجهة للطفل :

يقول الكاتب المغربي أحمد عبد السلام البقالي في كتابه « تنمية كتابة الطفل » :
الهدف من الكتابة للطفل في نظري ليس وعظه وإرشاده أو تربيته وتعليمه فذلك ما تقوم به المؤسسات التربوية والتعليمية ، الهدف من كتاب الطفل هو إضافة بعد جديد إلى حياته ، بعد جمالي يفتح عقله ونفسه وقلبه للحياة ويثري تجربته ويرهف نوقه وحسه ويصقل مواهبه وملكته ويفتح له نوافذ على آفاق واسعة وعوالم عجيبة وجميلة تتجاوز واقعه ومحيطه ليصبح قادرا على حل كل المشاكل .

على هذا الأساس ، تقوم الكتابة الموجهة للطفل على أسلوب قوامه رقيق العبارة

وسلامة اللغة وسهولة النص المكون من كلمات محورية محسوبة ينتقيها الكاتب من واقع الطفل ومن الأشياء البسيطة التي يتعامل معها كي يتسنى له حفظها والتغني بها والإستفادة من مغازيها والإقبال على قراءتها بكل لهفة وتلقائية .

فالكتابة الموجهة للطفل تشكل بالنسبة للمتلقي الصغير تلك النوعية المندمجة بالحدث يقرأها الطفل فيلتذُّ بقراءتها حسب عبارة الدكتور خليفة بركات في كتابه « الأسس الفنية لتقدير الجمال » ص 70 .

يقول الشاعر السوري الكبير سليمان العيسى في مقطوعة مكتوبة لتلاميذ السنة الأولى من التعليم الإبتدائي تحت عنوان « ماما »

* قبله أُمِّي سر وجودي *

* قبله أُمِّي ضوؤه نهاري *

وفي مفهوم حب العمل وبطولة الشخصية العاملة وإبداعها في عملها يقول نفس الشاعر :

* عمي منصور النجار *

* يضحك في يده المنشار *

* عمي منصور النجار *
<http://Archive.org>

* يبدع في يده المنشار *

وفي نفس النسق الفني بلورت الكاتبة نافلة ذهب مفهوم استثمارها لمملكة الحيوان في الكتابة الموجهة للطفل وذلك في قصتها « القرد مخماخ بعين دراهم الجزء الخامس من سلسلة القرد مخماخ » من مغامرات مخماخ :

« جرى مخماخ اثر جوهر وأشهب ولم يشعر في بادئ الأمر بشيء إلا أنه أحس بعد قليل أن أقدامه لم تعد هي نفسها . أخذ يبكي من فرط الألم ثم جلس على الثلج فازدادت آلامه وفجأة أتاه السيد سالم فحمله بين ذراعيه يعطف كبير وخاطبه هامسا : كيف تجلس على الثلج يا مخماخ ؟

فأجاب مخماخ وأسنانه تصطك من أثر البرد : -

لقد قال جوهر إن هذا قطن وظن أشهب أن أهل البلاد يقتربون لحافاً أبيض

طويلا .

ايتسم سالم كعادته وقال : ذلك هو الشئ يا مخماخ .

أحس مخماخ بين ذراعي السيد سالم بالذف فقال في نفسه :

>> إن السيد سالم عالم كبير فهو يشرح كل شيء ويعرف كل شيء >> .

أما على مستوى الصورة الحسية البصرية وتوظيفها في كلمات محورية محسوسة لا تتجاوز الست كلمات تتركب من جملة إسمية وجملة فعلية يقول الشاعر

محمد علي الهاني في مجموعته الشعرية الموجهة للأطفال >> ارسم وطننا >> :

* لي زودق من ورق *

* لوئنته بالأزرق *

فماهي الشروط التي يمكن توفرها في الكتاب الموجه للطفل ؟

وهل يكفي أن يكون كتاب تسلية وفكاهة أو قصص خيالية مجنحة بعيدة عن واقع

الطفل والحياة أو كتاب مغامرات تغذي في الطفل أحلام اليقظة .

هناك خصائص معينة للكتابة الموجهة للطفل يجب أن تتوفر في كاتب الأطفال

حددها المشاركون في مؤتمر ثقافة الطفل الذي نظمتها المنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم بالقاهرة في شهر سبتمبر 1990 وتتلخص في جملة من النقاط

الرئيسية اقترحها الكاتب المغربي أحمد عبد السلام البقالي فكانت كما يلي :

1 - غرس القيم الأخلاقية العالية في نفس الطفل الصغير لينشأ مواطنا صالحا

وعنصرا اجتماعيا فاعلا منتجا وهي قيم معروفة كالصدق والأمانة والعدل والشجاعة

والتواضع وحب الوطن والعطف على الضعفاء والمحرومين ... ولتجذير هذه القيم

في نفس الطفل الصغير على الكاتب أن يخصص لكل من هذه القيم قصة أو

مسرحية أو رواية بكاملها حتى ينفعل الطفل الصغير معها ويدمج فيها بكل

جوارحه وكأنه يعيش التجربة بنفسه .

2 - خلق عوالم جديدة وجميلة وإبتكار نماذج بديلة لنماذج السلوك الاجتماعي

المطلوب تغييره حتى نجعل الطفل الصغير يرى بوضوح عيوب مجتمعه وسلبيات

عصره ونخلق في نفسه الرغبة والحماس لتغييرها بما هو أفضل وأجمل .

3- تنشيط ملكة الخيال عند الطفل وتشجيعه على تصوّر النماذج البديلة وإبتكار وسائل تطبيقها ومساطة المسلمات القطعية ومحاولة خلخلة الرديء ، والمهترئ منها وخصوصا تلك التي اكتسبت حقها في البقاء بفعل التقادم وجبن الناس عن تغييرها 4 - أن يخلق الكاتب من الطفل الصغير شخصية متوازنة ومتكاملة بحكم حركاتها وسلوكها وأن يجعل منه رجل المستقبل ليناضل في سبيل المبادئ السامية والقضايا التي تهم بلاده ومجتمعه ومحيطه المباشر أولاً ثم يجعله يشعر أنه ليس أصغر من أن يهتم بالقضايا الإنسانية الكبرى .

5 - أن يحجب الكاتب إلى الطفل الصغير العمل اليدوي والمهارات العلمية حتى لا ينشأ معتقدا أنها أقل شأنا من العمل الفكري .

6 - تعويد الطفل على القراءة وتحبيب الكلمة والورق إليه كي يجعلهما مصدرا لمتعة عميقة متجذرة في نفسه منذ وعيه الأول .

7 - الحدث : وهو العمود الفقري للموجة للطفل فيه تتحدد أهمية العمل ويقرر نجاحه أو فشله .
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

8 - استثمار ملكة الحيوان : استثمار ملكة الحيوان الغنية بالكتابة للطفل لافتتان القارئ الصغير بهذه اللعبة الحية التي نسميها الحيوانات .

9 - الطفل المعوق : ينبغي إدماج الطفل المعوق في المجتمع بتكليفه بمهام يستطيع القيام بها رغم إعاقته وقد أسند الأستاذ أحمد عبد السلام البقالي دور البطولة لطفل مقعد في قصته « زياد ولصوص البحر » وجعله ينقذ بطريقة ذكية عنبرا رضيعا كانت عصابة من القراصنة تريد سرقة لبيعه لمتحف مائي قبل إتمام رضاعته .

على هذا الأساس ، ولضمان نجاح الكتاب الموجه للطفل ، على الكاتب أن يقوم ببحث معمق في المراجع العلمية عن أي موضوع أو ظاهرة تدور قصته حولها حتى يروي لقارئه الصغير الحقائق كما هي .

كذلك على الكاتب أن يلتحم بعالم الطفل الصغير كي يتسنى له إدراك مدى
تعلقه بالأشياء البديهية التي تعود عليها في محيطه باعتباره الطرف الأساسي في
معادلة فهم العمل الإبداعي المكتوب له كذلك واجب الكاتب معرفة مدى صمود
الطفل أو إقباله على الأشياء التي تقدم له لأول مرة مع ضرورة التركيز عند الكتابة
على دوافع ميول الطفل وعلى ظروف الحالة النفسية التي يمر بها خاصة إذا كان
الطرف صعب المراس سريع الغضب كثير الأسئلة مرهف الحس دقيق الملاحظة ...
فالخيال مادة أساسية من مواد الكتابة للطفل واستخدامه ضرورة حتمية وحاجة
ماسة فكل شيء يبدأ من الخيال والخيال عند الطفل مادة خام يشارك في حياة
الحواس فنتريه وتساذه على أن يكون متحركاً كالنظر دقيقاً كالشم مارقاً
كالأسنان حسب عبارة عزرا بوند . ولا بد أن نفرق بين الخيال وأحلام اليقظة لأن
هناك خوفاً دائماً من أن يستهلك الطفل طاقته الذهنية في أحلام اليقظة يقول
الكاتب المصري عبد التواب يوسف في مقدمة روايته الأولى الموجهة للطفل
« خيال الماتم 1964 » : (إن الخيال رغم ما في هذه الكلمة من جموح يجب
أن يكون له بعض المبررات لأن الطفل دائماً ما يلج علينا في السؤال : هل حدث
هذا حقاً أم لم يحدث ؟ فيكون الرد عليه بالمراوغة من الإجابة كي أترك له مساحة
الخيال حتى نقوم بعملية توسيع الخيال عنده) .

على أساس هذه الملاحظات حول أزمة الكتابة الموجهة للطفل وخصائص الكتاب
الموجه له يمكننا القول أن الطفل ليس (ذلك الكائن الحي الغريب الذي يريد أن
نكتب له) كما يرى الباحث العراقي باسم عبد الحميد حمودي في مجلة المثقف
العربي العدد السادس جوان 1972 بل هو القطب المتلقي لكتاباتنا والمحور
الأساسي لعصارة تجاربنا والوعاء الحاوي لخلاصة فكرنا وخبرتنا %

ومن الحزن ما قتل ...

شعر: وضاح الجبل

إن كان سيزيفُ قد أشقَّته صخرتهُ فإنني لجبالِ الأرضِ حُمُالُ
 كم يشتكي الناسُ من حالِ فأحسدهم كائنني الشيخِ والشاكينِ أطفالُ
 طُوبُ إلى الصخرِ يشكو من صلابتهِ والصخرِ لو جسُّهُ للفحصِ ينثالُ
 عانيتُ حتَّى جفاني الهمُّ من زمنٍ واليومِ أسعى بجسمٍ وهو تمثالُ
 لو جمعُ الآلهِ أحزانَ السورىِ حزناً لعشيتُ ميتةً لو نلتُ ما نالوا
 غربتُ شرقتُ لم أعثرْ على شبيهِ وحدي غريبٌ وحزني المرقَّثالُ
 لستُ المبالِغُ إن لم ألقَ في لغتي نعتاً لحالي إذا ما اشتدت الحَالُ
 ليستُ لمثلي فَعِيلٌ لا ولا فَعِلُ إن اضْطُررتُ فَمِفْعَالٌ وفَعَالُ
 أوَاهُ من حُرقةِ في القلبِ تنخرني لهيبها في الحشأ كالسوسِ أَكَالُ
 كم مرةً خِلتُني ومما فالسُنِّي مكذباً بصري والدمعُ سيَالُ

بين هند وعمر

شعر : أحمد الحباشة

ما الهوى عندي سواها	روعة تكبر فيها
أبدا .. لا .. لن أكون	وجمال يرتديها
غير قيس في الجنون	تضحك الدنيا بها
قالها وهو على الكرسي إرهاب شجون	ترعى مداها .
يتهاوى يتملى يتدلى	حين تمضي تنهادي
يتمنى	قمرأ بين النجوم
لو يعينها يكون	وهو في المقهى يراها
شرب القهوة برقاً	وهي لا تدري سواها
خلقها امتدت خطاه	حين يرتاد العيون
قال : ما أروع هذا العطر في القلب مداه!	يأخذ اللفتة والنهد الحنون
قال : عني خففي يا ...	يأخذ الوجه بعينه
واسمعي	يتملى جسداً خوفاً
ضاق عندي العمر واختلت خطاه	ورماناً تدلّى
إنني أهواك وحدي	أه لو يوماً أكون
من زمان التقيك	أه ما أقسى الجفون
دون أن ...	ترتخي عني وتمضي
نظرته أسكتته ...	وأنا الكون بعيني حريق وجنون
أسكتت فيه مداه	* * *

وقِحْ قالت : بحق

ابتعد عني ومُر

أنا هندٌ هل ترى أنت عمر ؟

حيث لا يخفى القمر

رُحْ ودعني

أنا لأهوى الذي ...

وعليه أضحكت سلمى وسنيا وأميرة

ضحكات قهقهات

مثل حلم صار صخرا

صخب في محتواه

والهوى عطر وأه

ضحكت سلمى وقالت من تراه ؟

والاشارات دليل

صار كالحلم القليل

فتهاوى واقفاً كالاستحيل

عاد مكسور الخطى

عاد للمقهى وبالقالب بكى

شرب القهوة عنفار دون سكر

جاءه خلُّ حكاه ..

قال : مهلا دعك منها لا تفكر

رجل أنت وأكبر ...

قام منهازا قتيلا

ومشى والحزن يقطر

* * *

ها هو الدرب ضباب في مداه

يتلظى القلب فيه

ومشى والليل يدعوه لاه

قف هنا ..

والى الضمارة امتد هواه

أسكنته أشربته

ثم ألقته عبيرا

ضائعا يذكي قواه

وهي عادت حين عادت والتقاها

رائعا حتى الضجر

خطوة تهوي بأخرى في الممر

حين قالت عند سلمى إنني أماه !..

مادرت أن خطاها في خطر

لم تكن تدري القدر

حين ضاعت في الشجر

ويها عن أعين الناس استتر

لم تكن تدري عمر.. وظلام الليل يرتاد المقر

وأفاقت بعد ما الأرض ارتوت

بعدها العين بكت حتى نوت

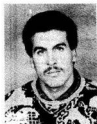
قال : يا دنياي يا همس المطر

إن أردت الحب سرّاً فأتنا يوماً عمر

أو أردت الحب جهرا فلك القلب مقر

صفعته ، صفعت فيه صباها

ليست أتعابها حتى توارت في الشجرا..



ذكریات

شعر : زبیر الدلّٰلی :

[إهداء : إلى التي كانت ولا تزال كل شيء]

بعد رحيلك سيلازمني طيفك كل الأوقات ...

فأتأمل وجهك من جديد ...

وأخلق في فضاءك ...

وأطير إلى هواك

وأعزف على لحنك أحلى الأغنيات .. !

وتناجي كما كنا من قبل ...

على شاطئ البحر ، وفي غابات الصنوبر ، وعلى الطرقات ...

ونلتقي أنا وأنت تحت شجرة السنديان الكبيرة ..

نسترق السمع إلى البلبل تشدو ...

هنا وهناك على الشجرات ...

ونعد أنا وأنت النجوم ، كما فعلنا ذلك آلاف المرات ...

وأرسم على شفّتك الرقيقتين أطول وأحلى القبلات ...

ثم أخذ قلّمي بعد أن تتركيني حبيّتي .. !

وأدوّن ما كان ! وسيكون !

وما أطلقت من أهات ...

وأحدث جدران غرفتي ...

وغابات الزيتون في بلادي ...

بل كلّ الغابات ...

وأحدثّ الجداول ، والصدف البحري ...

وأحدثّ النور عن عيني حبيّتي ...

وعن صوتها إذا شدت !

وعن سحرها وعن كلّ ما فات ...

حتى يقال يوماً أن غريبين خرجا عن العرف ،

في بلدة ليست ككلّ البلدات ... !

فتحابا في زمنٍ أصبح فيه الحب من الممنوعات ...

إلهي يا كريم (يا منّان) يا مجيب الدعوات ...

هذا عبدك الضعيف العاجز ،

يطمع في مددك من السموات ...

فلا تتركني لوجدني إلهي .. !

كما تركتني أتخبط في ماضٍ وذكريات ...

نصوص

سها م جبار (العراق)

* حب

أدخلها فيه وغاص

البحر الجاثم على خلوة المارد

المارد حبها الميّت

وتقلّبه إلى الجنبين

فلا يتردد عن موته

إلا قليلاً

لتنفّسه

وتغيب .. هي الأخرى ..

* باب .. يلتئم

خلعتُ اللغات ،

أنا خلعتها .. وهي باب يلتئم

تطيل النظر ولا تبدي ..

ومن عصاي استولدتُها

فتأجلّ ابني

أنا أبني المؤجّل

.. أخلفُ الطوق

لكنها عنقي ...

كلما نبحتُ رددتُ جيناتها إليهم وأهربُ

لن أتعلم ..

هل علمتموني .. خذوا ..

خلعتني

وليدن قادرتين أفرغتُ نفسي مني

هل أتفرغُ ... ؟

ربما تحملني يداي ..

وهي باب يلتئم !

المعبود *
ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com> تقطن الورقة

في حيٍّ من أحياء العقل

تخبُّهُ

... عن المتعقبين

يدخلُ جملةً ..

تعروها البثـور

وتصبيه .. يصيبها

فما سواهما في حلقة الميتين

الاضجيج الدفوف

يقرّر
ان المعبود في فخّه
يراقب المعول
على رأسه !

* برق

إمتدي أيتها السحابة
حتى أرى ابتدائي فيك من النطفة
قبل أن تطرأ أنوارها
أو تخامر النار
أجلّها ..

ARCHIVE

<http://Archivebeta.sakhril.com>

تتسلني
وازهرني .. ازهري
هذا برق علا الحرث
كيف لا .. أظلكه !

* ردم

تحفر .. تحفر
إلا أن العسل
لا يظهر عن قرارها
ثم خائفة تسأل
أن أدلّ العلو الشاهق

على اتحسافها ،
- كأني قادرة -
أردم الحفر بجسمي
.. وأطعمها ..

* سماء
سماء في الأعلى
تنفث الأسفل
تنسل عيوننا
ويروي دموعها الرواح
كل يوم نتمسك
قبل أن تتشقق
ونسيل منها علينا
حين لا نزال ننظر الأعلى
يسكننا .. أسفله !

شرح من الذاكرة

قطع الأستاذ : محسن الكريفي

الشرح الثالث : ذكرى قرية منسية ... وشيخ يودع السباقات ...
وأنا أقرأ فيك الحلم ... أتشوق جدائك الخصبة ... حنيتها بليل داجن .. أتهجى
قصائدك ... مازالت تحتاج إلى نحات أسطوري ... يقطع منها آخر النواوين
العصماء ... درويك فتوحات سماوية ... رغم مشابك الحصى وأشواك الطريق
... إطلالاك كمقاطع السكون الصاخب ... لا تعرف كلالا ولا ملالا ... أني أقرأ فيك
قريتي الجميلة جثم الرأهين وقد خلعوا بقية أورد النجاسة ... لست داراً لمن
أرادوا خلع أهديتهم الشتانية ... وروائحهم الصاخبة ... لست بالمنتزه الذي يحن
إليه العشاق الهاربون من لظى الأعين الحارق ... ولست الغاية الفناء ذات الدفق
الشهي ... أنت أبسط من هذا وأروع من هذا ... محبة الصنم جلبت لك هذا
الوقار الغريب ... وعدم الدخول في سباقات الدرب الطويل ألهمك إحرامات التبجيل
... في وداعتك أنفياً ظلال الفجر المسافر في أفق غدي ... نبع يتدفق من صليل
الضوء المعطر بصباحات الغروب ينثال منها الشفق المبتهج بأغاني الرعاة ... ينساب
من غروب الصباحات وقد تبخر الديك ضاربا أجنحته مسوطاً آخر النواك بأن
انهضوا فما مات إلا النوم ... أني أهرع إليك من سياط الماذن الصدنة ... ونفخ
الصور الروتيني ... لأشتم رائحة شاي صباحي ... وقطران قرية تساقط قطراتها
الهوينى ... أنت الغيمة ... وأنا الوثنى الشارد في مهاوي النسيان ... أسأل المارين
والهاجعين بقايا جمر ... وأعواد ثقاب لأصنع هالة من أعوزتهم حيلة الخلاص ...
أنت الديمة ... وأنا المسكون بعنوبة الوجع ...

قريتي الجميلة ... أيتها العين الصغرى ... البابلية الفرعونية ... من أي طينة خلقت ؟ .. وأي أحساك عثقت ؟ .. وأي لحن بدوي ينساب منك ؟ .. لحن ناي قديم يتدفق من التماسيم ... يتيه في آفاق الريح حتى يلامس نتوءات الوجع ... حتى ينكأ أم الوجع ... ثم يتيه لعك قريتي المنسية تذكير الصقوف والتجمعات على مضار فسحات عبت أفواجا من البدو الصاخبين ... أتذكرك قرعات القدور ؟ .. وصلوات الفرسان ؟ .. أتذكرك البسمات الخفية التي كنا نتبادلها خلسة .. ؟ كبقية الرعاة الحفاة ... فالحب هنالك كالأفيون ... كمتى المخدرات .. أم نسيت ما قاله - أحد الواقفين - كان كزراع الطيور - كان جالسا كواقف ... واقفا كجالس ... أتعرفين ما قال ... » لقد شاهدت في غابر الأزمان الشجعان يرمون الخاتم في السباق ... ويخطفون الحسان عندما تلتفت الساق بالساق ... أنسيت كل هذا ؟ .. أنسيت خلاخيل الفتيان تعزف موسيقى السباقات الآتية ؟ .. أم أنك طلقت من ذكراك ذلك الشيخ وهو يودع آخر السباقات ؟ .. كان بارعا ... كان فنانا ... كم كان مزنانا بدمعة كست لحيته ... لا أعرف ما كان يهمهم به كنت مسكونا بعينيك الزائغتين ... قريتي الجميلة : ساقى يوما ذلك الشوق المخفوق بأساير البوح الموغل في فرقتنا وفي أهاتنا ... ساكون الوطن المنضوي في عينيك هنالك الدفء والحنين ... لا تغني بعد اليوم السمفونيات الصارخة لأن الصدى - حيث الرجع - لغة محفورة في بكارات الأزمنة ... لا تخافي قريتي فقد كنت طول عمري أخشب معولا هداما لأنود عن تربتك ... لقد ألفت من شيخوختي اللحن القادم ... والذروة الوضأة ... سأسافر في زمهرير وسياط الشمس ... لاتخافي فلم تبق إلا ترانيمي وأورقي . لم يبق إلا الفجر خجلا من هالات الإشراق ... وليس إلا أنا وأنت من باقى ...

مسقط في 21 أكتوبر 1994

الصقيع

بقلم : زمردة دلهومي

* الإهداء : إلى كل الذين حضروا لنا غابت الدنيا ودلى آخر
العينات بالفصل الأخير %

- " الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن محمد رسول الله
حي على الصلاة حي على الفلاح ، الله أكبر ، الصلاة خير من النوم " ...
الساعة تستحى على النهوض والدفء يغازله ، لا يكاد يفارقه فينوب فيه انشاء
ويقيد جسمه ويلجم حركته فيطرحه في الفراش ، الله أكبر مرة أخرى حي على
العمل ، حي على النهوض حي على الملل حي على الحزن النائم على الأمر الهالك
حي على الطريق البارد ، رفع الغطاء من فوق وجهه نسمة لاذعة ريح مطر بدأ
يغزو الغرفة الباردة شتاء يعبث بالمدينة الناعسة وقلبا يذرف شوقا يعزق سجن
الصدر ويوقد صمت النفس حريقا ليس يخمد .

الوقت لا يزال باكرا والدفء يغرده فليزد ساعة أخرى بل بقائق أخرى ريح
صفعت فأخفى وجهه تحت الغطاء هربا ، ماذا القر الذي يلاحقه أينما حل في
القلب قر في الروح قر والغرفة باهتة ليست تزيد الروح إلا غربة وأنينا .

حي على الصلاة مرة أخرى أفق يا بني الوقت يحاصرك والدقائق تسرقك والنوم
أفيعين ساحر قم يا ولدي واطلب الرحمان يعنك ، هكذا كانت أمه توقضه كالأريج
يداعب أحلامه فينهض ميتسما يقبل جبينها ويمضي ... حتى وهو بعيد عنها يتذكر
الدعاء والصلاة والنظرة الخاشعة يتذكر الوجه الباسم واليد الطاهرة ويتذكر القهوة

الساخنة ، لا يدري لماذا كل أشيائها توحى إليه بالدفع المفقود ؟! ثقل انصب فوق جسمه المتعب فأنهكه ومضى بذو يزحف من جوف الفراش فأخرج رأسه ويداه والكتفين تنهد في عمق مكبوم مد يده في اتجا المنضدة وفتح المذياع النائم أرهف سمعه أي شجن يراوده بالغناء " .. لا كتب اسمك يا حبيبي عالخور العتيق وتكتب اسمي يا حبيبي على رمل الطريق بتشي الدنيا على القصاص المجرحة يبقى اسمك يا حبيبي واسمي يمحي " .. والأسماء دون وجه غامض والألقاب تلاعبت أتون داخل الرأس يضطرم فياكل الوجوه ولا يترك بقمم الخيال سوى بعض الصور الحائرة علمته الأولى الغموض والانقلاب كانت كالمذ رقة وكالجز غدرا وجفاء ساعة تمطر وأعواما تقبض توهم بالوصال فتفرقه وتسحب الخيط فينزلق تلمه في شوق وتقسم أنها أحبته وفجأة تحمل أشواقها وتنتزع منه ألف سوال وتحترق البحر دون اقناع وتسير دون أن توقع فوق ورقة التنازل وانتظار اذن بالخروج !

علمته الثانية أن أكبر كذبة غرق الرجل في يدها هي الثقة بالنساء ، مدته قلبا خاويا ضامنا وأخذت وذا مرتويا ونيعا ياقعا وحنينا مشتعلا بجأته كالنحلة الغوشى فارطت من رحيق روحه حتى نضبت وثقلت من عين الصبر لديه حتى سكرت جمعت حقائبها وحملت أوراق سفرها وحين جن الليل على أبواب المرافىء القديمة خرجت بكل عنف ونسيت أن تعيد إليه لحظات الفرح وخيوط الشمس ولون الربيع فقط تركت له ثجا يصقعه أينما حل وقتامة تلوذه أينما نضر كم تعلم منهم ولا زال يجهلهم ! النساء أفاع بدلال وخبت ماكر يسقطن رؤوس الليوث فيركبن ظهورها ويخفضن أجنحتهن خوفا من خطف الحدأة أي عالم تعيش فيه النساء ؟ وجوه مشرقة يميننا وشمالا وعبونا ساحرة وألوانا شتى مناكب تحيك رداء حالكا يلفه من رأسه حتى القدمين أحبولة يسقط في شركها كلما هم بالننوه جمع الفكر وشرذ الفؤاد فلفحته نسمة بادره أيقضته من السبات فقفز من الفراش جادا ، غسل وجهه والماء باردا والصقيع يتقمصه نظر إلى وجهه فافتتح فامتقع تذكر رسالة نسي أن يكتبها وتذكر رقما عليه أن يطلبه وتذكر أوراقا أضاعها ودفاترا لم تنون وتذكر الدواء ، وتذكر

والده ينام في اللبث متعبا ومريض تنهد فتأجج الصدر وردت أجراس البكاء
فأشاح بوجهه عن وجهه مدير موج غائر وضباب يحيط بليل ارتشف الموت لكنه
يحمل أوائل خيوط الفجر القريب استنشق رائحة المطر وغزا الغيم وجدانه فتنهد
مرة أخرى هذا البديل الآتي من خلف النافذة يرتد إليه فيوقظ فيه كونا من الشجن
المثير كل شيء فيه باردا يأبى الدفء ملازمة ثنياه يرفضه هو وأثلث حجرته وهذا
المطر لثم فنجان القهوة فتتلجت شفتاه وضعه فوق الطاولة وخرج ، كم يحلو لهذا
الصقيع أن ينام في أوصال صدره ويندى سحابه فتح باب السيارة وترك خارجها
دوار من اليزس يخمد مطر الشتاء .

كم لهذا المطر وقع عليه يقطع خيوط عاطفته ويدس فيه حزنا خفيا ليس يفهم
معناه عبر النافذة كان الشجر يتعري وكان الطريق مقفرا إلا منه والشتاء صور
تتلاطم على أرضه الخيال فترطم بالسراب وتنسقط .

لا زال الطريق يمتد النفوس هاجعة الفكر يجرده الضياع الريح يقسو والضباب
يشاكس السماء مرة تلغته ومرة يلعن الشمس لجواتها ، وصل إلى المكتب دخل
ضاحكا علا صوته ضحك بعنف وقجاة كفا عن الضحك أنه يشعر بالفرق من
نفسه من المكتب والعمل والعالم والنساء ، ألا يقال بأن الضحك يرفع درجة الحرارة
لكنه لا يزال يشعر بالبرد يلفحه وبالجليد يلبسه تصدع الرأس وتشققت أبراج
الكيان فأني هوس ألم به بعد أن هدأت العاصفة داخله وبعد أن استمالت السواقي
هرع إلى الهاتف وسأل :

– ألو : صباح الخير هل هناك من سأل عني ؟

– نعم لقد تكلمت إحداهن وسألت عنك البارحة لكن الخط انقطع

– ألم تذكر اسمها ؟

– أظن الأنسة ورده ، ياسمين ، نوال ، أسف جدا لم أعد أذكر الاسم .

نسي الاسم لكنه لم ينساها بل هي تلازمه إنها ثالثتهن ولكنها أغربهن أمطرت
كالقدر في عمق إحساسه باليأس وقمة إيمانه بالرفض الشائع للنساء والثقة بهن

أن الذي يسلم قلبه لإمرأة كأنما سلم رقيقته لسجان غاضب والحب نيراس ضجر
أسقطه الريح ذات ليلة ماطرة فانكسر وانتشرت شضاياه قصرا شامخا دمرته
السنون وأحرقت حدائقه فبات كالرسوم الدراسة بوارى يصفر فيها الهواء
عشرون عاما ولا يزال الدرب مجهولا " ... مرة كان هو قاتلا وأكثر المراقب
مقتولا ...

كم من النساء عرف وكم من الزمساء قرأ وكم من العناوين كتب ولا زال يجهل
عنه الكثير ، هن عشقته وهن أحببته وهن عزفن على أعصابه حتى أضعته وهي
فهمته وحدها عرفت أن الذعر يسكنه فطرده وأن اليأس يطارده فاغتالته وقوضته
ووحدها عشقته من ألفه إلى ياءه دون تذرر لطمت شظايا البلور المكسور في
ممرات مشاعره علقتة قمرا جميلا في سماء غائبة ، ارتشفت من زلال العشق حتى
ارتوى فسلب العقل وأتهك حرمة القلب .

.... تنهد مرة أخرى ماذا الثقل الذي يلزم شوارع الفؤاد المفقرة ؟ وماذا
الجراح التي أذمت الكبد ؟ ماذا الصراع الذي يعزق فيه لون رجل باسم ؟
فتح درج المكتب وجد ورقا كثيرا وقلما يختصر وعلبة دون سجاثر ورسائل تفوح
منها رائحة التعلق والوجد الهامد .

في إحدى الزوايا وتحت بعض الورق وجد سجلا مده بلطف فتحه فتبسم وجد
رسائل لهذه الثالثة مع بعض الصور رسائل يصطبغ فوقها لون الخريف ووجع
المأساة وبعضا من خيرير الجذل المائس تغمره الحيرة المارقه والشحوب الكالـح
عشرون عاما وهو يحلم بالزوجة الصالحة زوجة دعت بها أمه وحديثه عنها جدته
وتمنائها لنفسه ويعد اجتهد كثير وجد أن حلمه بددته القوافل السائرة وجرفت
الأنهار الخاملة حلما بالاستقرار كان حلما بالوجه الرقيق والضوء والحياة الآمنة
والرفيق حلم بالتي تخشى عليه من النسمة والندى والمطر والبرد واللفح والأذى
حلم بإمرأة في لون أمه حنوناً رقيقة ورائعة حين كان والده يتعب أويستكدر كان
صغيرا لا يفهم لكنه يلاحظ وجه أمه وقد انطفأ حزينا كانت تحس وجعه قبل أن

يبوح بوقع الوهن داخله كم كان داخله كم كان يحب أمه وكان يتمنى أن ينال صورة لها رسمها ذات يوم بالحبر الفاقع فوق ورقة بيضاء ضلت كالصراخ يفتق ضباب الهدون .

وجه امرأة يحبها وجه زوجة وفهمه وخيال طيف يحبه وجهها رسمه مرة على جدار الذاكرة الخصيب فاندلق فوقه ماء عكر أتلّف الوجه والألوان . رسمه مرة أخرى على ورقة الزيزفون العاطر بخطوط الغمق الصّراخ فسرقت الرياح الغائرة وتركت له سفينة فارغة تتسلق حبالها الزنابق المتمردة .

هل يرسمه مرة أخرى ؟ هذه المرة سترك الجبل على الغارب سترك الظروف تشكل الصورة من تلقائها فلو تشكلت من الرياحين سيتعطر بأريجها لو تشكلت من اللهب سيخمدتها الفتور ولو تشكلت من جنوة اللعيب فستكون بردا وسلاما .

الثالثة تشكل وجهها في بكاء طفل أحزنه المطر وقلب امرأة ضاق الصدر به ثلجا أطبق فوق أزهار السوسن فأعدمها نفسها يلوح من خباياها لـون الزعتر والصنوبر وبيادر القمح والعنّب المغسل . هذه الثالثة علمت سلفا أن طريقها مشطور بين الضياع والخلاء فمضت فيه رغبة علمت أن الربيع فيه متعدم وأن الشمس فيه غافلة فلم تنبالي علمت أن البحر فاغر لا ابتلاع جسدها فركبته غادرت بعد أن حملت فكرة التورط في غياهب الشباب المقنع تورطت جدا وأحرقت خلفها جميع المراكب جاءت في غمرة إحساسه بالصقيع وفقدانه لطعم الاستقرار أجبته كالهواء على مدار السنة وقعت عقدا لاغيا ليس فيه شروطا ولا شهودا ولا ختما أو بديل نزلت عاشقة واقعت أن الرحيل عنه بات مستحيلا حتى وأن اقتنع بأنها تحبه فلن يستطيع أن يتخلص من قيد فكرته بأنها امرأة والنساء جوارح كفر بهن إيمان المتعبد وزهد الورع ، همرت ثقته بهن .

النساء ... النساء ومن يفهم داء الداء لا يمكن أن تفهم المرأة إلا امرأة في حجم الحيلة وعمق الدهاء .

قرأ رسالتها الأولى تصفح القانية تأمل الثالثة ... ثم العشرون كلما انصهر

داخله قبس الدفء الباهت ألا وارتطم بشوه النساء قرف وامتعاض تقشعر لطمعه
غدد الأعصاب ويغمره شعور خائق يعانق فيه الانتقام كالابر الواخزة كالرجف
يلزمه فيزلزل جدرانه ، حتى وأن تحركت فيه لواعج الشكوى واستيقضت فيه
أمواج الرضوخ هل يضمن لنفسه أن يعيد توازننا بالقلب اختل ؟ فتناثرت أوراقه
وعلفت بأعالي الشماريخ صعب جدا أن يجد لنكسته الدواء ولصداه الارتواء صعب
أن يقامر مرة أخرى !

مسك صورتها بين يديه تأمل وجهها جيدا خففت أحشاؤه غمره الشوق لأن
يصك بيديها ويحبها لكن المسافة تفصل الأجساد وتشتت الخواطر فليعترف بسرية
جدا إنها جاعته ذات ليلة داجنه وفصل مطير بين الشتاء والصيف بين هاجرة توقد
الأشواك وقر يشق النخاع قيدته علال الوجع فظل مكسور المقلل والدمع راوده
الوكف فثار على الجفون فهو عاشق حد الذوبان فكيف يبوح بالذي يضمنه عاشق
لوجه امرأة لم يولد بعد ولقلب فراشه لم تنتشرنق بعد امرأة تحطم سكون الليل
الجامد وتفك قيود الثلج المفلقة عليه امرأة تنفض غبار السنين العجااف وتعرش كاليا
سمين في حصون قلعتي قلب الصورة بين يديه ثم وضعها بين السجلات مهمة .
لا ينكر أنها اجتهدت لتوقظ فيه رغبة الرجل الجامح ولا ينكر أنها جذبتة بعنف
السياط على النفوس العاصية ليحب مرة أخرى لكنه لم يستطع أن يحبها ربما
لأنها تظل امرأة أو لأن الصقيع داخله أعنف من أن يزال بنفضة واحد .

1994 أكتوبر

الحُبُّ وحده لا يكفي

بقلم : بهيجة الدلاي

كنت في مجموعة من النساء يوما وتطرق بنا الحديث عن الطلاق وأسبابه المتعددة وكانت تجلس بجانبني سيّدة بين الكهولة والشباب ما زالت تتمتع بجمال أخذ وفنتة ساحرة ... فالتفتت إليّ وقالت :

– من أسباب فشل الزّواج مثلاً عدم التكافؤ والتّوافق في الطّباع بين الزوجين

ولي في ذلك تجربة

– قلت كيف ؟

فبدأت المرأة حكايتها

– « لما جاء ليخطبني من أهلي كان يعرف جيداً أنني فقيرة بسيطة ترعرت في حيّ يبعد عن العاصمة بضعة كيلو مترات غالبية سكانه نزحوا من أريافهم هرباً من فضاضة العيش فيها وجأوا ليستقروا في بيوتهم المتلاصقة ، المبنية بناءً فوضوياً لا يخضع لنظام ولا لرسم هندسيّ ونشأت بين أبوين أميين وتسعة أطفال أنا أكبرهم يتخبّطون في الفقر المدقع فأبى يشتغل في الحضائر ولا يجني في نهاية الأسبوع إلا ملائيم لا تفي بالحاجة . لكن الكل كان يمدح حسني ويشهد بجمالي كما ترى فقد كانت إحدى جارائنا رحمها الله تقول دائماً لأمي مازحة « زينة بنت جميلة ومليحة إياك أن تزوّجها عندما تكبر لأحد من أبناء هذا الحيّ المشؤوم الذي فيه يعيش الفقير في البيوت والجهل في العقول والقمل في الرّؤوس » زينة لابد أن تزف لمن هو جدير بها ، يلبسها الحرير ، ينومها فوق السرير ، ويريحها من شر الحصور » وتنتظر إليّ بطرف عينها مقهقهة لترى وقع كلماتها عليّ لكن صدّقيني حبيبتي

حينًا هذا رغم بساطتهم وفقهرهم فانا لم أر أطيّب وأرحم وأوفى منهم ... طبعًا عرفت قيمة صفاتهم الحميدة بعدما شاحظني واختلطت بأبناء الطبقة التي نقول عنها راقية واخترقت الأجواء المخملية والأحياء التي يعلوها النعيم ... فالخصاصة والحرمان التي يعاني منها أهل حينًا واغترابهم عن أراضيهم وجذورهم وقبائلهم عوامل أنشأت بينهم مودة وألفة لذا تجدينهم يقفون إلى جانب بعضهم في الأزمات والأفراح

المهم حبيبتي ... تحصلت على شهادتي الابتدائية من مدرسة حينًا وانتقلت إلى معهد وسط العاصمة ومع مرور المرحلة الأولى من التعليم الثانوي أينع حسني أكثر ونما تكويني الأنثوي وكلّما نظرت في المرأة زادت غبطتي ودوّت في أذنيّ الكلمات التي زرعتها جارتنا بداخلي ... بدأ فتیان الحي يتودّدون إليّ ويتقرّبون مِنّي ويطنّبون في وصف جمالي ومدحي ما من أحد أمرّ أمامه إلّا وأسمع أمات الهيام وصفير الاعجاب ... كنت أهرّط طرباً لمديحهم وتهافتهم عليّ في أعماقي لكنّي أقابل كلامهم بالصمت وأهزأ منهم في قرارة نفسي وأقول « يا لكم من أغبياء أنا لكم أنتم ؟ ما الذي سيستفزني وسيثيرني فيكم ؟ أهى وجوهكم الكالحة بأستانها الصدئة ؟ أم البطالة المتفشية فيكم ؟ أم فقركم الموروث ؟ وأمضي في تبيّله وخيلاء إلى دنيا الأحلام الوردية يجدّف فيها خيالي دون قيد أو حدود ... أرسم صورة فتى أحلامي حسب هواي ومثلما أريد إلى أن جاء يوم .

كنت أمام المعهد مع عدد قليل من البنات عندما توقّفت سيّارة لتتنزل منها تلميذة تدرس بمعهدنا لكن لا تربطني بها زمالة أو بالأحرى صداقة ... لغت انتباهي تلك السيّارة بوسعها ولعانها وسائقها بوسامته وأناقته المفرطة ولا يخلو أي إنسان في مثل ظروفه من الإعجاب بنفسه فقد نزل متعمداً ووقف يتجاذب الحديث مع تلك البنت وبين الحين والآخر يتّجه بنظراته نحو البنات ... كنت أحملق فيهما إعجاباً وتحسّراً على نفسي ألعن الأقدار التي دفعتني إلى حضيض الفاقة وأنسال إلى متى ستظلّ العدالة في تقسيم الأرزاق بين الناس مفقودة ؟ وأفقت من شرودي على ابتسامته ونظراته المتّجهة نحوي . فارتبكت من الخجل ومضيت مسرعة أجرّ حذائي الأجرب

المتأكل إلى ساحة المعهد وبعد لحظات نسيت كل شيء .

مرّ يوم ويومان وفي اليوم الثالث بعدما خرجت منتصف النهار من المعهد وسرت عدة أمتار مسرعة الخطى لألحق بأول حافلة سمعت خطوات تقتفي أثري تلاها بعد ذلك نداء « ووصوصة » التفت ظناً مني أنها إحدى معارفنا فإذا بي أجد نفسي أمام ذلك الوجه الوسيم الذي رأيته منذ يومين أمام المعهد بأناقته المعهودة وعطره الفائح ... ارتبكت ... تملكني خوف شديد بادىء الأمر لكنني حاولت تهدئة نفسي ومسك أعصابي ورددت التحية التي بادرني بها وقال :

- أتذكريني

- بلى قلت رأيك منذ يومين مع تلميذة أمام معهدنا

- تلك التلميذة هي أختي ... قولي إلى أين تذهبن الآن !

- إلى المنزل قلتُ فالوقت وقت غداء .

- هل ترين مانعا إذا ما دعوتك للغداء في مطعم من المطاعم المنتشرة في قلب

ARCHIVE

المدينة ؟

ذهلت لإقتراحه وقلت <http://Archivebeta.Sakhrif.com>

- أسفة لم يسبق لي أن تخلّفت وقت الغداء عن منزلنا يوما .

كانت الأفكار تتلاطم برأسي وأسئلة كثيرة تحيرني ما الذي دعاه ليتبعني أنا بالذات ؟ هل أعجبه فأحبّني من أول نظرة ؟ ألم نسمع ونقرأ كثيرا عن الحبّ من أول نظرة ؟ لا الحكاية غير ما أعتقد ، من المؤكد أنّه لاحظ فاقتي الواضحة وضوح النهار ففكر أن يستغلّ وضعي ويجعلني فريسة للتغريب بي ، ألم نسمع بمثل هذه الأحداث التي تعجّ بها الصّحف يوميا فتتناقلها الأقواء وتلوّكها الألسنة في المقاهي والبيوت وجل ضحاياها من الأوساط الفقيرة ، من اللواتي في مثل حالتني ؟ كان يتكلّم وأنا في حوار داخليّ مع نفسي لم أسمع ما قاله لي ولأ

انتبهت من شرودي وغيابي في بحر أفكارني قلت :

- هل لي أن أعرف سبب هذه الدّعوة وما المناسبة ؟

- تعلم ، احمر وجهه ولأول مرة اكتشف أن الرجل أيضا لا يخلو من عقدة
الرجل فقد تعلمت في بيتنا ... في حين أن الرجل لا يخل .
- لا تنهبي بأفكارك بعيدا أنت جميلة جداً ومن لا يثيره الجمال فهو عديم
الثوق والحس .

خجلت أنا بدوري وتلعثمت

- أسفة لأبد لي أن أذهب وأسرع لكي لا يفوتني الوقت ..

- أتريد أن أوصلك بالسيارة

- لا ، شكراً

- إذا سنقابل !

صمت وركضت نحو المحطة ... أحسست كأن الأرض تموج بي وفي أعماقي
يتصارع الخوف والذهول والرجل والحيرة وآلاف الأسئلة .

وفي اليوم الموالي وجدته متكئاً على باب سيارته أنيقا وسيما هادئ الملامح
مبتسم الحياء . تسارعت دقات قلبي أول ما رأيته ومضيت فأكسة الرأس ...

مسرعة أنكف الحياء واللامبالاة ولكتبت بصراحة لو هناك منظر يعكس ما بداخلي
لوجد كل أحشائي ترقص فرحاً بمرأه ... من يومها صرت أراه كل يوم ... أحيانا
يسلم عليّ وحيناً يكتفي بابتسامة ومرة يغازلني ولم تك تضيّ عدة أسابيع على
تك الحال حتّى أضحى قلبي بين يديه ... لقد نفذ عطره إلى قلبي أفلح في
استمالي إليّ ... ولم أعد أستغني عنه ... عرف أصلي وفصلي وأين أسكن ومن
أكون ويأتي سنة أدرس ... وعرفت أنا بأنه تونسي من أصل تركي وابن موظف
سام بإحدى الوزارات وأمّه سيّدة ذات ثراء وأملاك واسعة تتمثل في محلات
تجارية داخل العاصمة وأراضي فلاحية خارجها . أمّا هو فبعد أن نال شهادة في
علم الاقتصاد كلّفته أمه بأن يدير شؤون أملاكها فهو الابن الأكبر الوحيد على
ثلاث بنات ... واسمه جلال وعرفت أيضا أنه يكبرني بما يزيد على عشر سنوات .
ونظرا لضيق وقتي وخوفي من الدتي كانت لقاء اتنا لا تتعدى النصف ساعة يوميًا

نقف في مكان ليس بعيدا عن المعهد نتحدث أحاديثا تافهة ويمضي كل منا إلى ما يشغله . وذات يوم ربيعي جميل اقترح عليّ جلال فسحة قصيرة فقبلت الدعوة شرط أن أكون أمام المعهد في الموعد ... انطلقت بنا السيارة في اتجاه الضاحية الشمالية وبين الحين والحين نتوقف لتتأمل الرّوابي التي كساها الربيع بحلة زاهية الألوان والحساسين المغردة فوقها ... كان جلال يومها مرحا أكثر ممّا عهدته يندندن بأغنية لعبد الحليم حافظ رائجة في ذلك الوقت وينظر إليّ مبتسما وفي لحظة امتدت يده تداعب خصلات شعري ثم اقترّب منّي أكثر ... ضمّني إليه وهمّ بتقبيلي لكنني انزعجت لحركته الجديدة عليّ فدفعته عنّي بقوة رافضة صارخة في وجهه وقد أصابني غثيان ونزلت أركض من السيارة غضبي أريد الرجوع وحدي إلى المعهد لكنّه مسكني من يدي وجذبني إليه برفق وهو غارق في الضحك .

– تعالي قال لي : أنا اليوم أسعد إنسان والله .

تولتني الدهشة لكلامه كيف هو اليوم أسعد إنسان بعدما كدت أن أتسبّب له في فضيحة أخلاقية على مرأى ومسمع المارة ؟ عدت إلى السيارة بعدما أقسم لي أنّه لن يعيد الكرة معي مرّة ثانية . «وبعدما استرجعت سكينتي قال لي :

– أتدريّن لمّ أنا سعيد ؟ لأنّي تيقنت الآن أنّي أوّل من طرق قلبك وأنتك طاهرة السّريّة ، ما زلت نقيّة لم تمسّسك يد قبلي ولم تعبت بك شفاه »

(هذا الطّبع في الرّجال عموما ، كثيرا ما حيرني ولم أجد له تفسيراً يقنعني . فالرجل عندنا ، إذا ما هاجر وتزوّج بأجنبية لا يهتمّ إن عرفت ألقا قبله أو عاشرتهم حتّى ، أمّا إذا ما أراد التزوّج بابتنة بلده فيتحرّى عنها ويبحث طويلا وينبش في صفحات ماضيها ويأويحها إن وجد في ملفّ مراهقتها حتّى مجرد نظرات وابتسامات لابن الجيران فإمّا أن يمضي في سبيله للبحث عن أخرى تكون « خاما » أو ستبقى هذه النقطة « السّوداء » سلاحا يطعن بها كلّما أنفعل .

بعد أسبوع فقط من تلك الحادثة أعلمني أنّه سيأتي مع أهله إلى منزلنا ليطالبني من والدتي حدّثني يومها كثيرا عن عشقه الكبير لي ، عن عمله ، عن طموحاته ...

كان هو يتحدث وأنا مذهولة شاردة اللب وكلمات جارتنا تدوي في أذني .
أعلمت والدي بما اتفقنا عليه فرحباً بهذا النبأ السعيد وكأنهما يريدان التخلص
منّي ليستريحا من مصاريف دراستي وزد على ذلك اعتقادهم الدائم بأنّ الأنثى
مجلبة للعار والفضائح ، فكم من مرة سمعت والدي خلال أحاديثه مع أصحابه
يقول : « البنت إذا ما أئمنت واستوى عودها عجلوا بتزويجها لأوّل طارق يطلب
يدها فبقاقها في بيت والديها يصبح عبثاً ثقيلاً .

حلّ ركب أهل جلال بنهجنا الضيق وأطلّت رؤوس الجيران من كلّ الأبواب ففي
حيناً حدث يثير اهتمام السكان . هرع الصبية ومظهرهم يوجي للغريب من أوّل
وهلة أن روح العدالة والمساوات قد بثت أنفاسها في حيناً بل قولتي إنّها واقفة على
قدم وساق . فقد التقوا كلّهم حول السيارات التي نزل منها أصحابها ودخلوا بيتنا
حفاة شعنا غبرا لابسين أسمالاً منسّخة وفوق شفاههم تربّع مخاطهم الذي سأل
من أنوفهم . ووقفت النسوة في عتبات بيوتهن يتهاמשن بأنني محظوظة فستتمّ اليوم
خطبتي على « ولد ناس » وكأنّنا نحن « أي سكان الحي » من فصيلة ثانية
ولسنا من بني الناس .
<http://Archivebeta.Sakhril.com>

وافق أهلي على هذه الرّجّة المشرفة واستطاع جلال أن يتحدّى رفض وانتقادات
أهله لي ولعائلتي وخرجت بعد أشهر أجر ثوب الزّفاف إلى عشّ الزوجية حاسبة أنّ
الحظّ ابتسم لي فهامي تنبؤات جارتنا بمستقبلي صدقت وأيام الخصاصة والحرمان
ستتوارى وعقدة الفقر التي لازمتني من يوم دخلت المعهد ستبتلعها الأيام
وساناسها ولم أعط أهمية الفارق الإجتماعي وعدم التكافؤ الذي بيننا ، تصوّرت
أنّهما شيء تافه نستطيع التّعالى عليه بالحبّ والمشاعر النبيلة .

لم أسكن مع حماتي فقد كان بيتنا مستقلاً ورغم ذلك لم أسلم من طول لسانها
هي وبناتها ، كنّ على النّوام يهزّأن من قلّة معرفتي بأمور الطّبّخ . فالطّبّخ في بيتنا
وفي حيناً اقتصر على الاكلات الشعبية الفقيرة أمّا في بيت حماتي رأيت أصنافاً
يحتار فيها العقل ... كنّ يسخرن من لهجتي الرّيفية ... من تلقائيتي وصراحتي

الكبيرة فأنا بحكم نشأتي لا أعرف المجاملة التي فيها ضرب من النفاق وتتنقصني الكياسة ... لذا كنّ لا يتورّعن في تجريحي وإهانتي إذا ما وجدن الفرصة ولم أكن في نظرهنّ ونظر كلّ العائلة << النبيلة المحترمة >> سوى حجر عثرة وعقبة كآداء في طريق ابنهم ، لكن زوجي كان دائماً بصفيّ ، يصدّهنّ عنيّ في حضوري وفي غيابي ويحيطني بحبّ وحنان كبيرين مما جعلني أقتنع أنّه يحبّني من أعماقه . كان يدفعني بكلّ عطف ولين إلى الامام لأنكيّف مع حياتي الجديدة ووسط هو عنيّ غريب وأنا عنه غريبة .

(أوّل ما صدمني في هذا الوسط الذي يسبح في العزّ برودة أمزجة النّاس وخلوّ أرواحهم من المرح - ففي حيننا - صحيح - لا أخفي عنك تتناحر النّسوة في الصباح وتتشاجر ويتدخّل الأطفال اللّذين هم سبب الشجار غالباً بالحجارة لكن إذا ما جاء العصر وهذات النّفوس تتدخّل الجارات بالصّلح بين المتخاصمتين ويجتمعن بعد ذلك كلّهُ في بيت من البيوت حول كانون ولوازم الشّاي يمزجن ويمرحن وينثرن نكاتهم ويعلو في الأرجاء ضحكهنّ . هكذا كانت الحياة في حيننا يرهقنا الاحتياج وتجهيزات التّواءات الحياة وعثراتها فتتحمّل وتتحمّل وفي لحظة نتفجر غضباً لأنّنا للأسباب ونجد في الشّجار متنفساً لكروبنا ثمّ نستعيد الهدوء ، وبعد سويّعات نرجع للضحك والمرح كأنّ شيئاً لم يكن . لذا افترقت كثيراً بعد زواجي تلك الجلسات المفعمة بالسّرور والتّقانيّة مع تلك النّفوس الطّيبة المرحّة رغم أنف الطّروف المرّة . أمّا عن مجتمعي الجديد << الراقي >> إذا ما أطلق الريفيّ النّازح مثي نفسه على سجيّتها أمام النّاس وحافظ على تلقائيّته ووضوحه وظهر للعيان في صورته الحقيقيّة فسيّفاً بنظرات الإستنكار في عيونهم وغمزهم ولزهم وسخريّتهم منه وإذا ظهر لهم بوجه غير وجهه وتكلّم بلسان غير لسانه ولهجة غير لهجته وتصنّع التّحذلق والتّطرف وتكلّف في كل حركة يقوم بها فسيرهقه التصنّع ويصاب بالتذبذب والاضطراب النّفسي ويفقد اتزان خطواته لأنّ الهروب من الذات ليس بالأمر اليسير . لذا أثّرت الصّمت وكلمة دعيّت من طرف أقرباء زوجي

وأصدقائه وجمعتني بهم مناسبة تجديني نافرة ، صامتة بينهم طول الوقت والضجر يحرق ضلوعي ممّا جعل زوجي يويّخني في عديد المرات حالما نرجع إلى البيت فقد لاحظ تبرّمي وضيقني بأحاديثهم المليئة بالمجاملة .

سارت الحياة في بيتي أمنة مستقرّة بفضل زوجي الذي هيأ لي مناخا طيبا هادئا وأغدق عليّ عطايا وحبّا يهدئان من قلقي الدائم وتوتري الناتج عن عقدي وشعوري بالنقص . عشت في كنف هذا الحبّ خمس سنوات أنجبت خلالها طفلين جميلين كانا قرّة أعيننا ، لكن ما من شأن على حاله يدوم فقد قلبت أمواج الأقدار مركبي وضاعت في اليمّ مجاديفي ولم أجد للنّجاة سبيلا ... نعم حبيبتي ... فجأة تغيّر زوجي ، أصبح لا يروم زيارة أهلي والذهاب إليهم وإذا جاعني أحد منهم يقابله عابسا متجهّما ... صار من خلال أحاديثه يذكرني بفقر أهلي وبساطتهم وجهلهم لأشياء كثيرة في الحياة مازحا حيننا وجادا أحيانا قال لي في عديد المرات إثر جدال حادّ « لا تنسي حجمك فأنت بدوني لا تساوي شيئا أنا الذي جعلت منك إنسانة » . وفي كلّ مرّة تتطوّر تعليقاته أكثر وعبارات المخوذة التي لها وقع السكاكين على قلبي ... ولا أنس يوم اشتاق لطفلاي لرؤية جدّهما - أي أبي - وعندما استشرته قال بحدّة : « - من هنا فصاعدا لا أريد أن يذهب ابناي إلى حيكم القدر وأرفض قطعاً أن يحتكّا بذلك الوسط النّتن وتلك الأشكال المنحرفة النّازحة التي وقّدت على مدينتنا كالجراد لتفسد كلّ شيء » لم أدر يومها كيف قلت له :

- النازحون الذين تحكي عنهم جنودهم وعروقهم ممتدة في هذه الأرض من آلاف السنين وعظام أجدادهم هي التي أثّرت ثرائنا الذي تاكل الآن أنت خيراته ، أمّا أجدادك الأتراك اللّذين تفتخر بهم في كلّ مناسبة هم الغرباء عن أرضنا وبلادنا . »
تدهور الوضع في البيت أكثر صرت عصبية المزاج - حساسة لأقلّ ملاحظة ... كثيرة البكاء ... لكنني كتمت ما أعانيه وتحلّيت بالصبر تصوّرت أن هذا التّغيير الذي طرأ علينا سحابة غيم طالأت أو قصرت فستنتشع وما دام الأمر بيننا فقط فلا بأس . لكن ما راعني إلّا وهذه التصرفات المشينة والإهانات أصبحت علناً أمام الناس .

تحمّلتها في البداية إلى أن جاءت القطرة التي أفاضت الكأس يوم دعونا أهل زوجي مع بعض الأصدقاء للغداء يومها شرب زوجي كأساً من الخمرة وبعد أن لعبت برأسه اختلق مشكلة ، ولسبب بسيط هاج وماج وثارت ثائرته وفي غمرة انفعالاته قال لي أمام المدعوين بأنه أخطأ لما تزوّجني فانا وعائلتي لا نشرّفه أمام ذويه وإسنا إلا حثالة المجتمع ومن يوم أن عرفنا وهو يشعر بالهانة ... نعتني وأهلي بأبشع النعوت وأحقر الصفات ... قال له أبوه معاتباً :

- لقد أفرطت في إهانة زوجتك ولا يسوغ لك ذلك لا تنس أنها أم أولادك .
- أنا لا أكذب قال - من ينكر هذا ... هذا هو الواقع وجم المدعوون وتبادلوا النظرات ... انشّق قلبي أنا وتعزّق بعد أن رمي بطعنة الإهانات ورغم التياح تظاهرت بالسكينة والهدوء خوفاً من تكرار لهجته الشرسة .. وعندما انفضّ الجميع من حولنا أخذتني هيسيتيريا من البكاء وقضيت ليلة مثقلة بالدموع والأسى والحسرة اتّخذت القرار المناسب لي وهو الطلاق ... ورجعت إلى قومي وحيّنا لأعيش فيه سعيدة بفقرّي في المحكمة تنازّلت عن طفلي لأيهما لأن صوت عقلي نّبّهني أن هذا في صالحهما <http://Archivebeta.Sakhr>

بقيت عدّة شهور بعد طلاقي أتساءل ما الذي هدم عشنا وأخذ ثورة الحبّ المشتعلة في قلبينا وبعد سنوات وعمق تفكير فهمت أن الحبّ الذي كان بيننا يفتقر إلى التكافؤ الذي هو أهمّ شيء بين الزوجين >> .

ولما أتمّت المرأة سرّد حكايتها وجدّتي عزيزي القارئ أمّس لنفسي : هذا هو قانون الحياة وتمتعت بمثل أو قل حكمة كانت تردّها جدّتي رحمها الله (مَبْرُوكَةٌ لِمَبْرُوكٍ وَمَسْعُودَةٌ لِمَسْعُودٍ وَإِنْتَ هَا بِنْتُ عَمِّي لَيْ نَائِي)

حمام الإنف

ملف العدد :

عصافير الشعر والقصة في المنتدى الوطني
للإبداعات الأدبية داخل الوسط المدرسي

يومي 25 و 26 / 11 / 1994

بسيلانة

إعداد : جمال الشراي

* ونحن العصافير نحفر أحلامنا في الشجر

* زوارقنا الريح تبحر في الصحو أو في المطر

* نساقر والأغنيات جوازاتنا للسفر (1)

يبدأ الأديب ترتيب الكلمة وهو عصفور ويظل عصفوراً مهاجراً في كل فصلٍ ومحلقة في سماء كل قافلة بلا حادٍ وكله أملٌ في أن يكون حاديها تستهويه القلاع وتجذبه المواقع جر في موسم الهجرة نحو المدن الجميلة والدافئة .. ومدن تونس تهاجر لها الطيور دائماً وتقصدها العصافير الجميلة من كل الأصقاع وهي دائماً قبلة العصافير وتبقى شمالها ومواسم هجرتها .
وتونس التي كرمت طبيعتها العصافير فإنها بناسها كرمت عصافير الإبداع

1 - شعر : صالح الهواري .

وأنشأت لهم موسعاً يهاجرون فيه وينتجعون بداخله في منتدى خاص بهم داخل أوكارهم أي داخل المؤسسات التربوية ، هذا المنتدى هو المنتدى الوطني للإبداعات المدرسية الذي يلتئم في كل عام بمدينة من مدنها وهذا العام التأم بمدينة سليانة الجميلة .

سليانة هذا العام كانت محطة المبدعين الصغار عمرًا جاؤوها من كامل أنحاء البلاد جاؤوها ليومين وهل يكفي يومان للشد وللغناء ؟!



اليومان كانا 25 و 26 موعداً زمنياً للحلم والإبداع التقى فيه أربعة وأربعون بلبلاً يشدون بما جادت به قرائحهم وما طرّز خيالهم من قريض ومن قصص حين جاؤوا وجدوا كل شيء في إنتظارهم رائعاً ... الاستقبال الحار والترحيب الجميل استله السيد : الناصر شريعة المدير الجهوي للتعليم بسليانة قائلاً :
حضرة السيد الصغير الزعيري المعتمد الأول الذي يشرف نيابة عن السيد الوالي على افتتاح الدورة الثالثة للمنتدى الوطني للإبداعات الأدبية في الوسط المدرسي .

حضرة السيد الكاتب العام للجنة التنسيق التجمع الدستوري الديمقراطي

بسليانة .

باسمي الخاص وباسم الأسرة التربوية وباسم مواطني سليانة عامة أرحب بالوفود الممثلة لولايات الجمهورية في هذه التظاهرة الثقافية المدرسية الوطنية وأتمنى للجميع الإقامة الطيبة في سليانة ويكل الضيوف الذين حضروا معنا ليشاركوا أبناءنا وبناتنا المبدعين والمبدعات في عرسهم السنوي ، هذا العرس الذي تحتضنه سليانة وبالتحديد قاعة دار الثقافة والشباب التي تحمل اسم العلامة المؤرخ أحمد ابن أبي الضياف أصيل هذه الربوع .



- حضرات السادة والسيدات إن النشاط الثقافي في الوسط المدرسي يُعتبر من ركائز نظامنا التربوي الجديد ، وهو بعد أساسي من أبعاد التربية الشاملة التي نروم تحقيقها والتي بمقتضاها نطمح إلى تكوين المواطن التونسي المتوازن الشخصية المتجذر في بيئته وفي حضارته العربية الإسلامية والمتفتح في نفس

الوقت على الحداثة وعلى الحضارة الإنسانية عامة . أمّا ترجمة هذا التوجه على أرض الواقع فيتمثل في النوادي المتعددة والمتنوعة التي يؤمها الشباب المدرسي بثلقائية ويشغف متزايد كل حسب ميولاته وهي بالتالي فضاءات مفتوحة أمام التلاميذ للخلق والإبداع والمبادرة وللنشاط الجدّي المنظم الذي نسعدُ اليوم في متدانا هذا بجني الناضج من ثماره في مجال الإبداع الأدبي .

ولئنْ لمن حسن الطالع أن تتزامن فعاليات هذا المنتدى اليوم مع انطلاق الدورة الثالثة عشرة لمعرض تونس النّوْلي للكتاب ، وإنها لعمرى دلالة واضحة على مواكبة الاصلاح التربوي بمختلف أبعاده للاصلاح الشامل الذي تعيشه بلادنا والتي لا

يكاد يمرّ يوم نُون أن يُطلَّ علينا بنشاط ثقافي أو اجتماعي أو اقتصادي ، بل قل إن الإصلاح التربوي هو بمثابة القاطرة تجرّ من ورائها كل المشاريع الإصلاحية التي تشهدها تونس العهد الجديد ، ولا غرو في ذلك ما دمنا مقتنعين جميعا بأن التربية والتعليم في بلادنا هما أساس كلّ بناء ، وما دام نظامنا الجمهوري العتيد يراهن على الإنسان التونسي بوصفه الغاية والوسيلة في نفس الوقت لكلّ توجّه ولكل إصلاح .

حضرات السادة والسيدات ، هذه إذا مناسبة جديدة وفرصة سانحة لإبراز المواهب ولشحذ العزائم وتشجيع الإبداع لدى شبابنا المدرسي الذي يتطلّع إلى المستقبل بكل تفاؤل واعتزاز وثقة في النفس وهي فرصة متجددة تجسّم بحقّ أحد خيارات نظامنا التربوي في مجال تثقيف الشباب وسبر قدراته الإبداعية المتنامية بأطراد والتي تُنحِتُ وتُصقّل يوماً بعد يوم بتوجيه وتهذيب ومتابعة من قبل مربين أجلّاء آمنوا بالقيم التي انبنى عليها هذا التوجّه وعقدوا العزم على كسب رهانه . وإننا إذ نذكر ذلك بكل فخر واعتزاز فتوجه إليهم في هذه المناسبة بخالص الشكر والامتنان لما يبذلونه في هذا المجال من جهود مضيئة في بعض الأحيان لكنها ممتعة ولما يولونه من صادق العناية للتنشيط الثقافي في الوسط المدرسي في مختلف المجالات .

شكرنا نتوجه به أيضاً إلى وزارة الإشراف وبصفة خاصة إلى إدارة الأنشطة الثقافية والرياضية والاجتماعية التي مكّنت ولاية سليانة من احتضان هذه النورة الثالثة للإبداعات الأدبية وذلك في إطار لا مركزية الأنشطة والتظاهرات الثقافية التي تسعى لتكريسها باعتبارها إحدى دعائم وركائز ثقافة العهد الجديد .

شكرنا في النهاية نتوجّه به مجدداً إلى كل الوفود المشاركة في فعاليات هذا المنتدى وتقديرنا الكبير لتجشمها مشقّة السفر وحرصها على حضور هذه النورة وتمنياتنا لضيوف مدينة سليانة أوقاتاً ممتعة وإقامة طيبة >> .

وبتله إحدى بنات سليانة فشدت :

إنه العهد ...

عهد الإبداع في كل مجال وزمن المبدعين تكريماً وتبجيلاً ، وتمهيداً لكل السُّبُل الكفيلة بتفتيق الطاقات المبدعة وصيانتها في كنف الحرية والإحترام عهد قال فيه الرئيس زين العابدين بن علي يوم 25 جويلية 88 شاحداً عزائم المبدعين حافزاً وهمهم ، لقد قال : « لا إبداع بدون حرية ودون اعتبار لحرمة الفكر » وهو لعمرى أصدق بيان على إيمان تونس العهد الجديد بقيمة الإبداع كدلالة حضارية ومقياس لمدى تقدم الفكر وأمن النفوس .

لذلك عمل المسؤولون على رعايته انطلاقاً من مهده الأول أي داخل المؤسسات التربوية فحرصوا على بعث النوادي وإقامة المنتديات المحلية والجهوية والوطنية



وهذا المنتدى الوطني للإبداعات الأدبية في الوسط المدرسي الذي يلتئم اليوم بولاية سليانة ، وسليانة موطن ابن أبي الضياف ليست غريبة على الإبداع وليس غريبة عليها فهي تعرف كيف تحضنه وترعاه ، فقد نام بحضنها نوات يوم مبدع عبر منها وعبر بروعة إبداعه حدود البلاد

وحُدود المحيط وشواطئ الخليج وألهم الإبداع الإنساني إرادة الحياة وأغانيها الجميلة وصلى خلفه آلاف العشاق في هيكل الحب الطهور .

نعم الشابي مرّ من هنا ذات يوم

الشابي غازل الحياة ذات لحظة فوق تراب سليانة فعشيقته سليانة ، ولأن لحظات لقاء العشاق تبقى دائماً في البال فإن سليانة العاشقة للشابي وللإبداع لم تنس اللقاء لا تنفك تحتفل بالإبداع والمبدعين وتجمعهم في قرية الإتحاف على نخب

مائدة موسمية فَيُطْعَمُونَ وَيُطْعَمُونَ .

سليانة دائماً ترعى الإبداع وتراعيه عن كُتُبٍ لذلك فرّخت أرضها العديد منهم ،
تحضنهم جميعاً مجلة رائدة وهي أيضاً علامة بارزة في دوريات الأدب والثقافة
الوطنية ونعني مجلة " الإتحاف " التي ارتبطت الثقافة في الجهة باسمها ، بل
وتجاوزت ذلك إلى خارج حدود الوطن .

سليانة إذن هي اليوم مثابة الإبداع وقبلته التي تؤمها العصفير المبدعة من كامل
زوايا البلاد وأركانها ، وقدت عليها لتشدو بها ألحان القريض وتطرّز فيها الحكايا
القصيرة ترسم ملامحها أذهان حرة وتتوق إلى أفق رحب واضح المعالم وضّاح .
أهلا إذن جاؤوا وسهلاً إذن وطؤوا ..

أهلا إذن بعصفير الإبداع التي الفتة من واحات الجنوب وأحراش السباسب
وسواحل الوسط الشرقي وبخلات الوطن القبلي ومرتفعات أقصى الشمال الغربي
لتحط على السنبلة لتتحف أهل المكان بأخبار الشعر وعهد الأدب ولتعقب غرفة بن
أبي الضياف بروائح التياسمين والصنوبر والعريش والتفاح والبرتقال »

<http://ArchiveBeta.Sakhrat.com>

المكان كان دوحة غناء وللهديل عرف السيد : حسّان البرقاوي رئيس مصلحة
التنشيط الثقافي بإدارة التعليم بسليانة كيف يهيؤها وكيف يجعل منها روضة
توحي بالشعر وبالاخيار وتحمل على الحلم الذي لم يلبث أن فجر القول على لسان
الشاعر الأديب رئيس لجنة التحكيم الأستاذ عبد الرحمان الكبلوطي فصدق
ارتجالاً :

تحية المنتدى

تهفو النفوس لغادة ريانة

وتتوق نفسي أن ترى سليانة

أتى إليها جنّة علوية
بالخير دوما والعطا ملائكة
إبداعها جاز الأفاقي في الحمى
تزهو بالحن الهوى رثانة
'إتحافها' غمر القلوب نشيدها
ويوشي هذا الملتقى مزادة
يا 'ابن الضياف' أذاك أحفاد الوفا
ويخمر لفظك في الحمى نشوانة
فاسمع نشيد بلابل صداحة
وانشق عبيرا فاح من ريحانه
برقو يفوح مع الكريب ومكثو

والروح في الروحية هيمانة

هذا الملتقى والذي إحقاقاً للحق أبدع فيه منظموه وكانوا رائعين في حفاوتهم
وفي إستقبالهم للضيوف فما أنسوا أبداً تهليلية ولا غابت على وجوههم إنبساطة ولا
على شفاههم بسمّة فماذا لدينا لهم سوى أن نقول شكرا وألف شكر !!
توافدت الطيور إذن أربعة وأربعون طيراً وفدوا من أعالي جبال خمير وبرج
الدومي . من أرض عقبة لحلاوة المقروض في تقويسة الحاجب على العين يحملون
رائع الإكليل من أعلى السباسب ويخضبون الشعر بالحناء ويعبقون المكان
بالنسرين والزعر ويعلقون فيه عراجين الدقلة ويصلون ما تدارك الشابي في هيكل
الحب ويغنون ما لم يقله في أغاني الحياة وبعدها ينسجون الحكايا عن ليالي
شهرزاد والجازية وبني هلال ..

الأجواء كانت شاعرية جداً طيلة يومين تمتع فيها الحضور بالكلام العذب
وبرسوم الخيال الخصبة فكان حضورهم المكثف دليلاً على نجاح المنتدى في
شددهم له من الافتتاح بإشراف السيد : محمد الصغير الزعيري المعتمد الأول نيابة



عن السيد والي سليانة إلى متابعة أشغال المنتدى بالاستماع إلى قراءات المشاركين إلى الاختتام الذي أشرف عليه السيد المنصف اللواتي الأمين العام بالتجمع الدستوري الديمقراطي المكلف بالتربية والشباب ، الذي زار المعرض وطاف

بمختلف أجنحته : جناح المجلات المدرسية وجناح مجلة الإتحاف وجناح الصور الشمسية المعبرة عن مختلف الأنشطة الثقافية والرياضية بالوسط المدرسي بسليانة وعلى إثر تكريم الإدارة الجهوية المشاركة في المنتدى ألقى في الحاضرين كلمة بليغة جاء فيها بالخصوص : «... ونحن نلتقي في الدورة الثالثة للمنتدى الوطني للإبداعات الأدبية في الوسط المدرسي يشرفني أن أشرف على اختتام فعالياته وهو بحق نشاط هام وعنصر قار في المنظومة التربوية والإصلاح التربوي والثقافة بوجه عام يمكن اعتبارها حجر الزاوية لا فقط في الإصلاح التربوي وإنما في التنمية لأن بدون ثقافة صلبة وبدون نشاط ثقافي صلب لا يمكن أن نتحدث عن تنمية مستدامة . والتغيير في تونس العهد الجديد هو مشروع ثقافي يشجع على التألق والإبداع ويحفظ الهمم لمزيد العناية بشئى مجالات العطاء الشبابي . وأدعو المشرفين على هذا المنتدى إلى نشر وترويج ابداعات الشباب التلميذ المشارك ونحن على استعداد في دائرة الأمانة القارة للتعاون مع إدارة الأنشطة الثقافية قصد نشرها وترويجها حتى نعرف بها أولا ونشجذ العزائم في مختلف الأوساط التربوية ... »

وقبل هذا كان السيد عبد الحميد الصكني رئيس مصلحة التنشيط قد توجه بكلمة



وزارة الإشراف رحب في بدايتها
بالحاضرين والشباب المدرسي
ونوه بالمجهود المتميز الذي
بذلته الإدارة الجهوية للتعليم
بسلوانة لأجل احتضان
المنتدى في دورته الجديدة ،
وما أتاحت من ظروف مناسبة
تساعد على ضمان التوفيق
المنشود في سير برمجة

هذه المناسبة الهامة التي تجمع شباب تونس المبدع للمحاكاة والتنافس النزيه ،
مشيرا في نفس الوقت إلى طموح وزارة الإشراف لتحقيق ما هو أفضل وأرقى ،
وتبدو الضرورة ملحة لزيد العناية بالمجالات الثقافية في الوسط المدرسي ويصفه
خاصة بالابداع الأدبي للترقي بمستوى المساهمات وإثراء عدها بقطع النظر عن
النتائج النهائية لأن التثويج هو في الحقيقة لكل المشاركين ولشباب تونس الذي
تعنيه مباشرة منظومة الاصلاح التربوي .

ثم استمع الحاضرون - بانتباه شديد - إلى تقرير لجنة التحكيم :
« عكفت لجنة التحكيم الكركبة من السيدة فاطمة سليم والسيد عبد الرحمان
الكلبوطي وعبد القادر الهاني على قراءة إنتاج تلاميذ المعاهد الذي رشحته الإدارات
الجهوية للتعليم بولايات الجمهورية ، وهو إنتاج شعري وقصصي ، واستمعت اللجنة
كذلك إلى قراءات التلاميذ لهذا الإنتاج ، وهي تكبر مجهود شبابنا المدرسي في
شتى مجالات الإبداع ، وتتنبأ للكثير من أبنائنا وبناتنا مستقبلا زاهرا في فن
الكتابة قصة وشعرا ، ونثني بهذه المناسبة على جهود المربين والمربيات الساهرين
على تأطير الشباب واحتضانه ورعاية البراعم وصقل المواهب الأدبية ، كما ننثي
على جهود المسؤولين في الإدارات الجهوية في مقدمتهم السيدة والسادة المديرون



الجهويون للتعليم ، ورؤساء
مصلحة التنشيط بالإدارات
الجهوية ، ولا ننسى أن
تشكُرَ عناية وزارة
التربية وجهازها المركزي
المتمثل في إدارة التنشيط
الثقافي والإجتماعي والرياضي

واللجنة إذ تُعزِّزُ بشبابنا المدرسي المشارك في هذا المنتدى الوطني للإبداعات
الأدبية ، لا يسعها إلا أن تتقدَّم لهذه الناشئة بالتوصيات التالية :

– مزيد الاهتمام بسلامة النطق وقواعد الكتابة ، إذ لا يجوز ارتكاب أخطاء لغوية
(من نحو وصرف وتركيب) عند القراءة أو عند التحرير ، فالحنُّ يفسد العبارة
ويؤشُّش المعنى ، ويُسحِّسن في هذا المجال تكوين لجنة في كل إدارة جهوية تساعد
التلاميذ المترشحين على التدرب (إلقاء وتعبير) على القراءة السليمة ، وتوفير
وسيلة بصرية لمتابعة القراءة أثناء جلسات المنتدى <http://ArchiVe.com>
– التخلُّص شيئاً فشيئاً من المحاكاة والتقليد ، والانصراف إلى مزيد من المحاولات
الشخصية ، بابتكار المواضيع ومجالات الكتابة ، ويتوسيع دائرة القول في المتحاول
من المضامين ، وبتجويد العبارة ، والاعتناء أكثر بأساليب القول صورةً ووصفاً
وسرّداً وحواراً .

– الابتعاد تدريجياً عن بعض النظرات القائمة واللوحات الحالية ، والتعبير عن
التفاؤل وحُب الحياة والأمل والغد البسام ، لأن الشباب عهد الطموح والأحلام
الجميلة والنظرة المستقبلية الواعدة .

– تنظيم ملتقيات جهوية للإبداعات الأدبية تكون تمهيدا للمنتدى الوطني وإعداداً
أفضل للشباب المترشح .

* وباختصار فقد كانت أعمال الشباب المدرسي في هذه الدورة الثالثة من المنتدى

أعمالاً مشجعة باعثة على الاطمئنان والتفاؤل بمستقبل تونس في مجال الأدب ،
واللجنة تنصح الأبناء والبنات بالمشاركة في الكتابة لتحصل لهم الخبرة اللازمة
وتتضح التجارب ويستقيم النهج ويتضح الطريق . >>
وأخيراً تمّ الإعلان عن النتائج التالية :

الشعر:

- الجائزة الأولى وقدرها 120 دينار للتلميذ شكري يوسف من المعهد الثانوي الواحة بشتني
(قصيد : منثما أحبيب يوماً سوف أنسى) .
- الجائزة الثانية وقدرها 100 ديناراً للتلميذ : حافظ العايش من المعهد الفني باب الخضراء
تونس (قصيد عيناك أجنحة للخيول) .
- الجائزة الثالثة وقدرها 80 ديناراً للتلميذ : إيهاد الدعمان من المعهد الثانوي
ببوعرادة (قصيد : جاء قيس للمدينة)
- الجائزة الرابعة وقدرها 60 ديناراً
للتلميذ : إلهام شتيبي من المعهد
الحبيب ثامر بنزرت (قصيد :
تدايعات طفلة ممنوعة من الانتماء) .

القصة

- الجائزة الأولى وقدرها 120 دينار
للتلميذ : عماد الورغمي من المعهد
الثانوي غار الدماء (قصة : أبدا
ما كانت الأولى) .
- الجائزة الثانية وقدرها 100
ديناراً للتلميذة : سلمى التريكي من المعهد : الثانوي مجيدة بوليلة صفاقس (قصة صراع
الإنسان في قبر الحياة) .
- الجائزة الثالثة وقدرها 80 ديناراً للتلميذة : ألفة قصدي من المعهد الثانوي ابن أبي الضياف
منوبة (قصة : خريف امرأة) .
- الجائزة الرابعة وقدرها 60 ديناراً للتلميذة : إيتاس العياط من المعهد : الثانوي 2 مارس
بالمهدية (قصة : رسالة إلى أمي) .

مثلاً أحببت يوماً سوف أنسى

شكري يوسف (شمنني)

يهمس صوت بأذني

هل ستنسى ...

رحلة الماضي ، وذكرها الجميلة

هل ستنسى ...

ما هواها ؟ ما مداها ؟

هل ستمحو أحرفاً منها واسما

حبها نبع سعادة

منذ ، في قلبك - أرسى

مستحيل أن هذا القلب ..

ينسى !

قلت للصوت كما أحببت يوماً

سوف أنسى ..

سوف أنسى ما بياضي وقلبي

سوف أمحو قمراً في الحب كانا

سوف أمحو حلماً في القلب يسرى

لم يكن بدراً وشمسا

بل هموما أبدية .

ثم أنسى ..

أنني أحببت يوماً

أنني جدت بدمعي ويحبي ويقلبي

ثم أمسى القلب والحب خطاما لسفينة

ناشدا موتاً هدوا وسكينة

لا تسلني أيها الصوت الدفين

كيف أنسى ؟

متى يصحو وينسى ؟

فكما أجببت يوماً سوف أنسى



أبدا ما كانت الأولى

بقلم : عماد الورغي

عينان تنضحان أنوثة تطلان من هناك من الشرفة في ذاك المبنى العالي والذي
من الأكيد أنه لأحد أغنياء الحرب لأحد مصاصي الدماء خفافيش الأنس مغتتمي
الفرص - والرازيحين على صدر الكادحين .

ذاك الوجه الصبح ليس من الصعب أن يدرك أي أبله أنه لاحدى بنات حواء .
كانت - سبحة الخلاق - في انشغال تمشيط شعرا بعمق الليل وكان الوقت إذ
ذاك عصرا والمؤذن في انشغال . الله أكبر الله أكبر وعين
لم تكن لتشرد يوما قدرة الخلاق سبحان الذي حيياها كأحسن ما يكون - من
النساء .
<http://Archivebeta.Sakhr.com>

حيث سقطت عين المؤذن وهو يؤذن كما كانت تؤذن وفي اندهاش وأنشداه يزل
خائن صاحبه فيقول اللسان ما لا يريد الإنسان فيضطرب الأذان .
استغفر الله استغفر الله من كل ذنب عظيم .

إنها أولى خيوط الشمس تتسلل على الأراضي المقدسة تحتضنها وتذكرها في
احتفال الآن تبدأ مسيرة الحج كما كانت منذ ذاك الزمان يكاد الحجاج يسمعون
صوت الرسول كما كان أول مرة وآخر مرة .

أبو البدر كان على أهبة السير حين وصلت رسالة لم تكن في الحسبان ، جاء
فيها :

أبي العزيز أخبرك بما لا أريد لقد وقعت عين مؤذن على ابنتك عندما كانت تطل من
النافذة فأريكت المؤذن والأذان .

قلب أبو البدر الرسالة وكتب على ظهرها :

اذبحها وأرسل لي كأساً من دمها لأشربه... ثم سلم الورقة إلى الرجل الذي أحضرها ومضى في سيره كأن شيئاً لم يكن .

هكذا خرجت الحروف مضطربة ومتذبذبة على لسان توفيق وهو يسرد القصة على مسامع ومدامع معتادة لقد كانت القصة مستهلكة وأخته مقتولة قبل صدور الحكم بل قبل حدوث القصة نفسها ، دماء حمراء تسيل غزيرة وأخرى بيضاء أيضاً غزيرة ولكن كلها ماله لا فرق أو ربما هي مسرّة لا أدري ...

ملأ توفيق كأسه من رجل أخته الدامية تلك التي أدمتها الحجارة من فرط السفر الطويل فقد أرغمها على السفر وهو يدرك أنها لا تطيقه بل تعتمد ذلك ليجث عن منبع للدم غير العنق .

– امتلات الكأس سريعا وتفرق الأخوان سريعا أحدهما إلى حيث يلحق أباه والأخرى إلى حيث لا تدري

ARCHIVE

هذه هي الشمس تجر غيوطها الأخيرة في تكاسل وترسم لونا قاتما في تدرج بليد ومن بين ظلال الغروب خيال متعثر يتسّر بأخر سلاسل الأشعة الهاربة وكأن الغروب لم تكفه جبال الأرض ليمسك بها فيمتد إلى هذا الخيال الحزين فيستريحه سترًا .

على صوت أجش رفعت أحد رمشيهما فوجدت نفسها أمام شاب غليظ القسمات مفتول الشاربين فارتعدت فرائصها وهمت بالهرب لكن الانغاء أسرع

أفاقت صباحا فوجدت نفسها كالخليقة يوم اذن المولى بانبعث الحياة وكان الغراب بجانبها نائما وهما في الخلاء ولا ساتر غير السماء ورحمة أبدا ما نزلت رغم العناء والأنباء وفي لهفة ارتدت ملابسها القذرة وغابت في المكان

ابتعدت وامنت على نفسها التفتت إلى شعرها أو التفت إليها وتمددت على الأرض البكر وأخذت حجرا وقطعت شعرها في حسرة قاتلة

وفي لحظة تجردت من أنوثتها وطلّقت تعاستها وأصبحت فيما أصبحت ذكرا أو
ربما رجلا لا أدري لا أدري

* * *

أتعبها السير الطويل وأشياء أخرى أشد من السير الطويل وعلى باب مدينة ما
وقف شاب ما لا أحد يعرف ولا هو يعرف أحدا المهم أنه كان يظن أنه وصل
والحقيقة أن الطريق طويلة نعم طويلة جدا

لم ينتظر أحدا ليدعوه إلى الدخول وولج المكان بحركات تائهة وعينين جاحضتين
رغم جمالهما الفاتر سار في الطرقات دون أن يفكر في التوقف . أبدا لم يرد من
قبل الوقوف ولكن في كل مرة يجبره أحد على التوقف أو تكبله يد أحد ليس من
أحد .

انهكه الجوع والسير الطويل وأشياء أخرى وإغماء مفاجئ وسقط أمام أحد
المطاعم ونسي مجبرا حقيقة حتى لا يتوقف أو يوقفه .

ARCHIVE

<http://Archieveet.Sakshi.com>

بدأ صباح جديد أفادت عقوا أفاق
هي لا تريد أن يذكرها أحد بماضيها حتى لا تتوقف
وجدت نفسها أمام رجل وهمت بالنهوض لكنها تذكرت أنها الآن رجل ، ولا
خوف على الرجل من الرجل

استجمعت قواها المنهارة ورباطة جأش الرجال وقالت : من أنت ؟ ماذا أتى
بك إلى هنا ؟

ابتسم ابتسامة هادئة ولم يجب بل التفت إلى جانبه حيث كان خوان عليه طعام
وقدمه باحترام مردفا : لا بأس عليك .

عندما سمعت هذا الكلام ارتاحت وكأن جبلا من الجليد انزاح من على صدرها
وانهمكت في الأكل حتى أنها لم تشعر بمغادرة الرجل للغرفة .

كان ذاك صاحب المطعم وهو رجل أعزب ويعيش بمفرده والحقيقة أن الأقدار
تضع الاختبار أمام الاختبار وتكشف القناع .

فقط رجل وامرأة من جملة الرجال والنساء وهما كل الرجال والنساء .

* * *

كانت الغرفة تسبح في ظلام كئيب ومن بالغرفة هو أيضا حزين واستقامت هي والأفكار جنباً إلى جنب ويحث عن النافذة وهمت بفتحها لكنها تذكرت فوقفت ربما يكون هناك مؤذن آخر أو رجل آخر لكنها تذكرت أيضا أنها هي الآن في عداد الرجال فتحتها بجرأة وسماحة فاندفع النور إلى الغرفة محتضنا كل الأشياء حتى الخيال الحزين .

جلس على السرير واستلّت تنهيدة أعمق من التاريخ وكأنها تقتلع معها الماضي بأكمله عندما دخل الرجل مبتسما وقال : أظنك الآن بخير .
فردت بتصنع : الفضل لك طبعاً

فقال : لا تقل يا رجل، الإنسان لأخيه الإنسان ودارت بخلدها الأفكار
الإنسان لأخيه الإنسان طبعاً هذا ما يقال دائماً إلا المرأة فهي الاستثناء الوحيد في هذه القاعدة .
http://Archive.org/details/14khrt/14khrt.pdf

فأجابت : في ماذا يفكر الغريب إلا في الضياع فقال وقد أحس مرارة صوتها :
لا تفكر كثيراً فمن الواضح أنك شاب على خلق وأنا في حاجة لمثلك يساعدني في العمل ، وكما ترى فأني لن أخسر شيئاً حيث أعيش بمفردي بل على العكس ستكون أنيس وحدتي ورفيقها خاصة وإنني غير مكبل أقصد غير متزوج .
وقهقه عالياً نعم قهقهه عالياً .

فقالت على مضض : شكراً لك على كل حال

* * *

بعد يوم متعب في العمل دخلت الغرفة لتخلد إلى الراحة رغم أنها تدرك أن لا راحة

راحة إلا مرة واحدة .

تمددت على الفراش وأطلقت لفكرها العنان ،هذه المرة أرادت أن تتذكر فهذا شعرها الذي مزقته سابقا والذي تغطيه بأحكام نما سريعا كشلال ضوء أسود لا مصب له وهذا النهد المتفتح كازهار الربيع أتعبها إخفاؤه وهو يكاد يمزق القميص ويصرخ : ها أنا هنا

نعم تكاد الصرخة الأنثوية فيها تنفجر بل تكاد من فرط الكبت تستحيل قنبلة أو هي كذلك ولكنها موقوتة .

والاكيد أنها تدرك ذلك وتدرك ان في البيت قطبان من المستحيل أن لا يشعر الواحد بالآخر ولذلك كانت تنتظر المواجهة كمن ينتظر النهاية .

إنها تتذكر جيدا كيف قال لها ذات يوم أن بها حياء يشبه حياء النساء وأنه لم يره يخلع ثيابه أمامه أبدا -

ومرة طلب منه أن يكشف رأسه ولكنه استطاعت أن تتهرب فظن أنه يخفي قرعا أو ما شابه ذلك فلم يرد إخراجها وصمت ولكن الواضح أن أسئلته تزداد يوما بعد يوم وتزداد معها شكوكه .

إنه يريد أن يعرف من الذي يقف أمامه

كانت تغني وهي تستحم دون مبالاة أو خوف أو حتى حرج لقد كانت على حريتها تماما فالיום سوق والرجل في الخارج والاكيد أنه سيتأخر كثيرا .

ورأت على الجدار جبلا معلقا فتوقفت عن ذلك جسدها ومالت مسندة إلى العمود ولوحت بخيالها إلى ذاك الزمان إنها تتذكر جيدا كيف كان أبوها يوثق أمها وينهال عليها ضربا موجعا وهي تصيح وتستغيث ، كيف كان يتركها دون طعام أو شراب لمدة ساعات طويلة .

كيف أنه طلقها مرتين بسبب كأس شاي كان مرأ وإطالة من شباك البيت .
نعم من شباك البيت لقد أمر بذبحها لذلك السبب ذاته لأن الأقدار جعلت منذنة الجامع تواجه شباك غرفتها .

يا لهذه الأقدار ويا لهذا الاحتقار رغم أن الذكريات المرة كثيرة إلا أنها
قطعتها عنوة وتناستها بانشغالها بالإستحمام ثم بتذكرها أعضائها الواحد بعد
الأخر فليوما نستها أو فقدتها كما فقدت أشياء أخرى

من ثقب الباب كانت عينان ذائبتان تتجولان في الجسد العاري المنحوت في
تقاسيم إبداعية تزيدها المفاتن شهوة وانبهارا وكان النور ينبعث من كل شبر ويقعة
تصلها عين الملهوف وكأنها مرآة تعكس نور القمر ليلة تمامه ولم ينتظر كثيرا فقد
دفع الباب واندفع داخل الغرفة كالصاعقة وأحسست به سريعا ففككت شعرها فانسدل
على كامل جسدها وغطت الضياء بالظلام .

عندها اكتملت الصورة وأصبحت المرأة عارية لا فقط من ثيابها بل كذلك من
قناعها أمام الرجل بكل قناعاته وأقنعتة .

في تلك اللحظة أتى الأذان خافتا من بعيد :
الله أكبر الله أكبر لكن الأذان صمأا وعند إغلاق
الباب انكتم الصوت طبيعيا وبدأت القصة من جديد



عيناك أجنحة للخيول

شعر: حافظ العايش

أَعَانِيْكَ عَيْنِيْكَ فِي قَبْلَتِي
كَفَنًا لِّلْحُقُـوْلِ
وَصَنَمِيْ مَكْتَبَةً عَلَّمْتَنِي حَفَرَ السُّيُـوْلِ
بِذَاكِـرَةٍ وَرَقَتَهَا حَوَافِرُ أَحْلَى الْخِيُولِ
لِأَنْصُرُخٍ فِي الْبَلَدِ رَقِي
لَسْتُ السَّمَاءَ لِأَقْبَلَ مِنْ خَالِكَاتِ الْغِيُومِ
وَمِنْ زَفَرَاتِ الرِّيحِ
عِزَاءَ انْتِحَارِ الْحَمَامِ بِخَنْجَرِ عَشْقِ الْأَصِيلِ
فَقُولِي لِي مَاذَا سَأَلَكَ
بِعَيْنِيْكَ تَخَضَّرَ أَحْبَبَةً كَجَبِينِ الْإِلَهِ
وَتَحْصِدُ شُمُسُ الْهَجِيرِ جِرَاحَ السَّنَابِلِ
وَحِينَ شُرُودِهِمَا لَا أَرَى غَيْرَ طِفْلِ يُقَاتِلُ
وَأَسْتُ أُرِيدُ جَوَابًا
لِأَحْيَا شُرُودِهِمَا لَا أَرَى غَيْرَ طِفْلِ يُقَاتِلُ
وَأَسْتُ أُرَاكَ
إِذَا مَا احْتَرَقَتْ عَلَى مَهَوَاتِ الرِّحْلِ
وَأَسْرَجْنِي بِالْفَنَاتِي
بِيَاضِ الْمُنَادِيْلِ فِي رَاحَتِيْكَ

فَلَا سِنْدِيَانِ عَلَى وَطْنِي الْمُسْتَحِيلِ
لَأَشْهَدَ مَا اخْضَرُ مِنْ خَوْفِ عَيْنَيْكَ يَغْلُو
لِيَمْطِرَ قَلْبَ السَّمَاءِ مِنْ جُنُونِ السُّؤَالِ
فَيَنْبُتَ وَرْدًا ، يُظِلُّ فِينَا دُعَاءَ النُّخِيلِ
وَلَا زَيْزَفُونُ يُعْلَمُنِي
رَسْمَ ظِلِّ الْإِلَهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ
وَلَا شَيْءٌ
غَيْرَ تَوَاضَعِ زَيْتُونَةِ الدُّخِيلِ
لِذَا فَاعْذِرِي شَفَقَةَ مِنْ سِوَاكِ الدُّفُولِ
وَلَا تَبْصِرِينَ بِي بِدَمْعِ عَيْنِكَ ،
بَلْ بِرُمُوشٍ تُخَيِّطُ شِرَاعًا لِأَجْلِ إِرْتِحَالِ الْعَوِيلِ
كَفَانِي أَسَانِيْلُ تَبْهِي
لَا بُحْرًا غَنَّاكَ
أَصْنَعْتُكَ ذَا مَسْرُخَةٍ عَرَكْتَ أُذُنِي
أَمْ الصُّمُوتُ كَانَ سَجُودًا عَلَى شَفَقَتِي
فَمُذْ جُنَّحَ الْخَيْلِ
مِنْ حَقْلٍ عَيْنِيكَ
مَا عُدْتُ أَذْرُكَ
مَا الْفَرَقُ بَيْنَ الصُّبُورِ
وَبَيْنَ الْهَدْيِ

صراع الإنسان في قبر الحياة

بقلم: سلمى التريكي

دخان أسود ينبعث من أعماق ذاته وعيناه السوداوان تنظران فلا تريان شيئاً غير العتمة البغيضة . ودخل بذاكرته قبوا لا حياة فيه ، وركّز ناظريه على الظلمة غائبا عن الواقع . في تلك اللحظة فقط أحسّ بوجوده ، غاب عن العالم فأدرك حضوره ، ابتعد عن الناس فأحسّ بهم يتجسّدون فيه فتنفّس الصعداء .

أجل ، كان لابدّ أن يملأ هذا الشعور قلبه منذ وقت طويل وأحسّ بضماً يخنقه وهو يستند إلى جدار لا يعرف كم حشرة مرّت عليه قبل ذلك الوقت ، وخفق قلبه بهلع وهو يرى المقابر تمتدّ إلى اللانهاية أمام بصره الزائغ في ظلمة القبر . جدران القبور بيضاء يتشاب الملل بينها ويملّ القلق من ذاته وسطها ، ولكنّ هذا البياض الناصع الذي حول سمرة التراب إلى صفرة الأموات خلق في رأسه دوارا وفي فمه مرارة ، إنكمش وجهه وتجعدّ جبينه وزاغت عيناه . هرب من النور إلى الظلمة كي لا يرى وجهه في شضايا المتناثرة في كلّ مكان فإذا بالظلمة تفتح أمامه العالم الذي خاف أن يراه .

موت وقبور وأنعاش ، هو يعلم جيّداً بأنّ حياته كانت قاسية قسوة اللحظة التي يعيشها ويعلم أيضا بأنّه خفّاش لا يرى إلّا في الظلام مأساة صار عمرها بعمره . هدأ لحظة ليعرّى ذاته دون انفعال ، كان بحاجة إلى الشمس المحرقة التي هرب منها لتخني الرائحة العفنة التي تتصاعد من الأرضية النديّة ومن جوربيه ، وكان بحاجة إلى النجوم المفقودة في سماء قبولا يعرف كيف وصل إليه . وازدادت الرائحة اشتدادا ، وزاد بياض جدران القبور المترامية في خياله فشعرت

على قلبه ظلمة رهيبة وتداخلت بأذنيه أصوات رعب غريبة ، فسدّ أذنيه براحتيه وأغمض عينيه ، هرب من نور الأرض إلى ظلمة القبر ومنها إلى ظلمة ذاته . وعندها رأى وتنفس الصباح ، وعلم بأنّ الكابوس حتما سينتهي . فتشكّلت في أعماق ذاته ورود حمراء تملأ حقل العائلة الموجود على ربوة القرية الحبيبة . واختنق صوت الألم في حلقه وتبدّلت الرائحة العفنة طيبا يذكره جيّدا وتبلّكت جدران القبور بدماء الموتى التي انبثقت بعد جفافها ...

واصطبغ كلّ شيء بأحمر الزهور رائحة الورد . هكذا استطاع أن يتراخى ثمّ أن يريح قدميه المتوترتين ويجلس بهدوء على الأرضية السوداء . الآن غابت كلّ المعاني التي يعرفها واطمأنّ إلى وروده يناغيها ويتذكّر من خلالها طفولة وشمسا .

شمسه هذه كانت قريبة منه في القرية ، وكانت تداعبه في كلّ يوم فيبتسم لها ويلعب معها ، ولكنّه لم يرتو من أشعتها إذ سرعان ما اختطفه التّنين وجره دون أن يدري إلى هاوية لا قرارة لها . وفيها اختمرت مشاعره وتعلّقت كنبذ عتيق لذيد ، قرأ في أحلامه أنّه ينتقم من قريته وأبعده عن شمسهِ وأقصاه عن شجرة السنديان العظيمة التي كان يناجيهها كلّ فجر يوم جميل . وكبرت فكرة الانتقام من إنسان مجهول ، من فكرة مجنونة ، وعندها جمع بخياله ليحقق ما تمنّاه . ثمّ رقص ضاربا على الأرض كي يفيقها ، كانت إيقاعات رجليه لا لحن لها إلّا الانتقام من سببات دام طويلا ، من ظلم لا يعرفه أحد غير السنديانة لما عاشته من تجارب في عمرها المديد .

ودخل السجن بعد هذا ، وهناك عاش أحلى فترات حياته ينظر إلى عيون من معه فيفهم ما وراءها ويشرب ماء عكرا فيحسّ بعذوبة النهر في القرية المستكنة تسرى في جسده . في السجن فقط معنى النوم والليل والنهار وفي السجن فقط صار للشمس التي لا يراها طعم ونوق يحسّهما قويين في قلبه ولذلك ملاكته أشواق العودة إلى الحياة فلأنّ أنه وعى الدرس وسيفهم حتما بعد ذلك كلّ المعاني التي ظلّ

ولكنه لم يستطع فمع كل مجاملة يقوم بها يحس بتكدس الألقعة على وجهه ، ومع كل طلوع فجر تزداد الظلمة شدة حول عينيه لذلك حطم كل المرايا التي اعترضته ، كان خجلا من نفسه وكان يحس بالعار يعيش معه في غرفة واحدة وينام معه في سرير واحد .

أينما ذهب حمل معه رائحة عفنة ، وكلما تنفّس ترسبت في أعماق ذاته أحاسيس يخاف منها لأنها تفضحه . ووجد نفسه في مفترق طرقا عليه أن يختار سبيلا فاحتار وخاف من حيرته . كان يعلم أن في الاختيار مسؤولية وحكما على مستقبل لا يدري هل سيعيشه لذلك حاول أن يرتفع إلى فوق حتى يتمكن من رؤية نهاية كل طريق لينزل بعد ذلك ويتبع الأفضل باطمئنان . ولكن الأرض تمسكه وخوفه من افتقاد الوجوه التي تعود أن يراها ويحبها يجعله يتمسك هو بدوره بالأرض . والحلقة التي يدور فيها مفرغة لا هدف لها لذلك انتزع ذاته منها بقوة وهرع إلى هدوء القبر وظلمته كي لا يراه أحد ، كي لا يفضحه جنبه ، كي لا يشم أحد رائحة جوربيه . فكان كالوحش الجريح يتدفع مستميتا قصده استرداد ما خسره من غياب عن الواقع طيلة لحظات الوعي هذه .

وفجأة انطفأ الاعصار داخله وأخذت مكانه نسمات لطيفة فعاوده الارتياح وخلع الجوربين ومضى حافيا إلى خارج القبو حيث وجد مقعدا جلس عليه . تبدلت الظلمة نورا وتبدل النور ظلاما والرجل فوق المقعد ساكن يعلم أنه سينهض يوما ليفجر البركان ...

جاء قيس للمدينة

شعر: إيلاد الدهماني

قال بيتا
كنت يوما قد حفظته
قال أن الحزن فينا
جاء من طوب المدينة
* * *

قال لي حين رزيت
"كيف مات الحب فيكم
بين أسوار المدينة ؟"
قلت في نفسي لذاتي
"كيف مات الحب فينا
بين أسوار المدينة ؟"
* * *

همهمات الغابرين
غمغمات الغابرين (2)
أزعجت قيسا فتاة
مثل كل التائهين
بين أسوار المدينة
بين جدران المدينة

جاء قيس للمدينة
بابتسامات حزينة
مرّبين العابرين
هزّه الجو الحزين
واختفاء العاشقين
بين أسوار المدينة
* * *

جاء قيس
حاملا تاريخ شخص
عاش في ذهني طويلا
كان قيس مثلم
كنت عرفت
كان رمزاً للجنون
هل ترى قيس يكون
شاعرا أم يكون
بين أسوار المدينة ؟
* * *

جاء قيس للمدينة
بابتسامات حزينة
مرّقربي

(1) قيس : مجنون ليلى

(2) الغابر : من اكتنفته المدينة فتاه فيها ...

خريف امرأة

بقلم : الة قصدي

التقيت بها صدفة هذا الصباح كانت تجلس في مقعد بإحدى الحدائق ، لا أدري ما الذي شدني إليها قد تكون مسحة الوقار التي تحيط بها أو الدموع المتلألئة في عينيها أو الجمال الذي طحنته اقتربت منها وهي تداري دمعة تسترسل من ماقبها ، سألتها ردت بعبارات مبهمه ، هدأت من روعها وبدأت أستدرجها للحديث وأخيرا نطقت بعدما نظرت إلى الأفق البعيد كأنها ترى أحداث حياتها تسير السحاب :

" أعش خريف العمر ، اعلم أما زالت لي حاجة في المجتمع أم له فقد انسدت في وجهي جميع السبل فقدت حقي في الحياة بسبب حق المجتمع وأنا نيتي : تزوجت على الطريقة التقليدية كان زوجا رائعا ، وافق على أن أعمل ، واستطعت التوفيق بين عملي وبيتي ، أنثر زوجي منه ثلاثة أبناء ، كان زوجي سعيدا لكن القدر كان قاسيا اختطف مني زوجي وأنا لم أتعد بعد العقد الثالث من عمري .

حزنت كثيرا لكنني لم أستسلم لقدري لم أرم المنديل بعد ، لم أقرر بعد خضوعي وشغفي ، صبرت تحملت وهبت نفسي لأطفالي وليبتي ، حاولت أن أكون الأب والأم في نفس الوقت ، حاولت أن أسد جميع الأبواب أمام المتطفلين والتمامين . لم يتسن لأحد من الناس أن يחדش كرامتي أو عرضي ، لم انتظر شفقة أو عطفًا من أحد خلقت جوا من التفاهم بيني وبين أبنائي . علمتهم الاحترام والحب ، لم أرفض لهم طلبا أعطيتهم الحنان والحب و ونجحت .

كل يوم أرى أبنائي يكبرون ، أرى مجدهم يكبر أرى أهدافهم تتحقق يوما

بعد يوم كنت سعيدة بذلك وهبتهم نفسي لأرى البسمة على وجوههم ، يكفيني فخرا
ذلك الامتنان الصامت والرضا المشع المنبعث من أعينهم .

توظف ابني وابنتي ثم تزوجا لم يتسن لأحد من الناس أن يقول تربية امرأة ، لم
يقل أحد أنجب ذرية طالحة ، يكفيني فخرا أنني نجحت وحققت هدفا في الحياة
، كنت سعيدة جداً .

وبقيت وحدي مع ابني الأصغر ، كان بجانبني دائما ، افتقدت إخوته كثيرا فعلمت
الأمّل عليه في وحدتي وفراغي ، كنت أعود إلى البيت لأجلس في انتظاره ، لا أطمع
إلا معه ، كان سلوتي في وحدتي كان أنيسي وتوالت الأيام والبيت يـُزاد فراغا
ووحدة .

وذات يوم ، أفقت لأجد نفسي وحيدة من جديد ، لقد قرّر ابني الأصغر السفر ،
كان مصمما على ذلك ، وهنا توقفت لتمسح دموعه سالت فوق وجنتيها وأضافت :
لقد ازداد البيت وحدة ووحشة طيلة النهار أنتظر زيارة من ابني أو ابنتي أو رسالة
من الصغير المسافر .
البيت أشبه بمقبرة : لا أنيس فيها ولا رفيق ، ثم قلت الزيارات وتأخّرت الرسائل
، كنت أجلس في جوّ من الكآبة والحزن ، أضع الطعام فلا ألمسه ، أرى جدران
البيت تضيق بي وتخنقني ، أحس بأن سعادتي انتهت وأن حياتي بلا معنى وبلا
هدف .

كنت بوحدتي تخامرني أسئلة سخيقة وأفكار محزنة بائسة .
" ترى من سيحضر ساعة احتضاري ؟ ترى من سيكيي فقداني ؟
أه لقد ضعت في هذه الدنيا ! لا بقاء لي في هذا الوجود ، أصبحت أعيش في ظلمة
كالحلة كظلمة القبر ، أنساني أبنائي وأصبحت مجرد ذكرى ، ذكرى امرأة
طعنتها السنون ...

وتواصلت الأيام والبيت يزداد خنقا وضيقا ، حتى حصلت المفاجأة !!! تقدّم
لخطبتي كهل في الخمسين ، كان من جيلي تقريبا لم أصدق نفسي ، أحسست

بالدماء تتدفق في عروقي حارة وغزيرة ، أحسست بمكانتي ووجودي ... بشيء
كان كامنا في أعماقي ، شيئا كان نائما داخلي ثم استيقظ فجأة لينهض بقوة
وعنف ، أحسست بأنوثتي التي نسيتها طويلا أو تناسيتها .

يا إلهي أهناك من يهتم بوجدني ، سوف لن أكون وحيدة بعد اليوم ، لطالما
نسيت نفسي وقلبي ، كم أنا سعيدة لا أصدق أن يتذكرني أحد بعد كل هذه السنين
، قابلته أحسست بأنني أعرفه وانتظره كنت صريحة معه إلى أبعد حد ،
أحسست بلحظات حلوة من عمري أحييت ماضيا سعيدا كان قد ولى ، أحييت
ذكريات جميلة خلت واندثرت وقررنا الزواج ...

أخبرت أبنائي ، وكأنني رميتهم بقنبلة ، رفضوا رفضا قاطعا صاح ابني :
ماذا؟! تتزوجين؟! أرى أنك تخرفين يا أماه ، ماذا سيقول الناس عنا؟! أبعد كل
هذه السنين ستتزوجين يا إلهي؟! انظري شعرك وقد وخضبه الشيب فانت قريبا
ستصبحين جدة ، عروس العجائز هذا بالتأكيد ما سيقوله الناس عنك ؟!

رفضوا أن أعيش بالصورة التي أريدها فالزواج بالطبع للصغيرات والمراهقين
حسب رأي ابنتي ،أراء سامة وعقول (حمقاء) أنانية مفرطة

هل لأنني تخطيت الأربعين لم أعد أصلح للحياة؟! هل لفظتني الدنيا؟! إنسي
إنسانة لي قلب وعقل وإحساس من حقي أن أعيش من حقي أن أحب ، أن أقرر
لكن أبنائي ... !!

هل علي أن أنتظر الموت حتى يطرق بابي أم أظل أعيش وحيدة دون أن يشعر بي
أحد يواسيني عندما يشتد بي الألم ... هل علي أن أموت أو أذبح كالبقرة التي نفذ
حليبها؟! أم علي الإعلان عن موتي ؟ فانا ميتة في نظر المجتمع ، في نظر أبنائي
الذين ضحيت من أجلهم بأحلى لحظات عمري وشبابي ، نعم يجب أن أعلن وفاتي
وأنا على قيد الحياة ، أحس بأنني نهر قد جف نبعه؟! ماذا فعلت؟! أحس فعلا
بضعفي وبإخفاقي . رفضت الزوج وقبعت أنتظر الموت متى يطرق بابي..

قلت لها وهي تمسح عبرات تتلالا في مآقيها فبذت كالدر الناصع :

» سيدتي لقد ربيت ، فأحسنت لكن قطار العمر لم يفتك بعد فالحياة سلسلة من الأسفار والمآسي وعلينا نحن نكشف الفرح ونزيح الستار عنه ، نعم يجب أن نخلق الفرح والحب سوف لن أطلب منك التوقيع على مغادرة الحياة ، أنت أرفع من أن تكوني كذلك لقد صبرت كثيرا والآن أن الألوان لتعيشني لنفسك ، ضعيهم أمام الأمر الواقع وسوف يرضون . قاطعتني بصوت متصدع : « لا ، لا أستطيع أن أخفق بعد ما نجحت ، يكفيني فخرا أنني نجحت في أن كنت أما في يوم من الأيام وأتذكر بقلب راض السعادة التي تغمرني وأنا أقبل أحدا منهم بل تكفيني تلك الذكريات وذلك الرضا الكامن في أعينهم ، الآن أعذريني أن أذهب فابنتي ستزورني ، أمل أن تعجبها هديتي لعيد ميلادها ، استودعك الله

غادرتني وأنا مذهولة لم أفق إلا على صوت فرامل سيارة مجنونة كادت تصدم محدثي ، أسرعت لمساعدتها ، لم تبال بحركة يدي إليها لكنها أسرعت لمهوفة لالتقاط علبة وقعت منها ويان ما بداخلها كانت دمية صغيرة رائعة تحمل كل براءة الأرض وجمالها حملتها بسرعة وغادرتني ، لفتت انتباهي ورقة صغيرة قد عفرها التراب أخذتها وقرأت ما كتب عليها إلى ابنتي العزيزة في عيد ميلادها ... »

بقية صفحة : 27

* المصادر والمراجع :

- (1) ديوان الأعمش ، دار صادر بيروت 1960 .
ص ص 9 ، 12 ، 36 ، 45 ، 72 ، 77 ، 100 .
- (2) دائرة المعارف الإسلامية (طبعة جديدة ، فرنسية) م 111 ص ص 363 - 370 .
- (3) ديوان أبي الطيب المتنبّي ، تحقيق عبد الوهاب عزام دار المعارف للطباعة والنشر ، سوسة - تونس ط 1 : 1991 .
- (4) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق ، ط . السعادة الثالثة ، مصر 1964 (ج 2) ، 172 .
- (5) التفسير النفسي للأدب ، لعز الدين اسماعيل ، دار العودة (د ت) ص ص 59 - 60 .

تداعيات طفلة ممنوعة من الانتماء

شعر: إلهام الشيتي

تزرور المدينة	حين عاشرت
سلمتني مفاتيح	تجاعيد عُرِّيهِ
شفتيه حرضيني	خضبت كفيْ
على اغتيال لون الصباح	.. ورتلت
أهداني دمة ضامئة	على مسامعي نواقيس
وزعتها على فراشي	الزينة ...
حتى إذا عاشرت القصيدة	أنا الصغيرة ...
فررت إلى الله ...	التي منعوها من الانتماء
حين عاشرت	إلى مفاسد المدينة ...
تجاعيد عُرِّيهِ	الضامئة
راققت الموت في بحثه	ستبقي وجهي دون
عن قديس جديد	اخضرار
وخالتني الدروب لأنتهي	تتقاذفني شوارع القيص
إلى صورة الحبيب	ما حجبني عن شمسها
فأنتفى وجدي	وأشعل ما تبقى ...
وأخفتي وجهي	من نسيم أيامي
واخفتني الموت	حين عاشرت
لأبقى وحيدة	تجاعيد عُرِّيهِ
أطعم بسمة أُمي	أشعل كل دروبي
القصيدة	وأهداني صورا
نامت على زندي	آخر عامرة

صورة الوطن ... ليلة ...
حتى إذا أصبح الصبح
أفقت بلا زند
حين عاشرت
تجاعيد عُرِّيهِ
انتفى مني المكان
وصورة الأرض البعيدة
حين رآها الموت
أغض عينيهِ
أصم أذنيهِ
أحرق شفتيهِ
وحين المساء ...
أشعل مصابيح المدينة
جبت الأزقة
التي تفوح بعطر
الخمارات الرديئة
ولجت أحداها
أبحث عن نشوتي
فوجدت الموت
يجالس حبيبي
حين عاشرت
تجاعيد عُرِّيهِ
أقسمت ألا أرافق الموت
في نزهة أخرى

حتى لا أكون صديقة
وحتى تتبغني
أوجاعي ...
أطفأت نواميس القبيلة
سأجري ... وأجري
وأطفو
على سطح صدره
لأبسط كل جراحاتي
بين يديه
وحين يلامسني
ضباب الصباح
أشعل ما تبقى
من أيامي القادمة
وأوزع بخانها على
حانات المدينة
حتى إذا ... راودتني
دروبيها
سرت إلى النور أسأله
معنى الهزيمة
حين عاشرت
تجاعيد عُرِّيهِ ،
ورفضت معاشرته
قتلني رجل
بمعنى القصيدة .

رسالة إلى أمي

بقلم : إيناس العياط

يا أمي

وهبتني الحياة فجئتنا باكية ثم علمني بنو البشر كيف أضحك ، كيف أجامل
وأهادن ولكن أوجاع الزمان
حين أراك تهز كياني هذا وتمزق أحشائي تمزيقا .

الأم من واجبها أن تتجب لتضمن استمرارية الحياة ولكن من حقها أن تنعم بالحياة
وتعشق فلذات أكبادها وهم يمشون على الأرض من السعادة وتملأ السنين
ابتهاجا وابتساما فتزدهر لابتسامتها الحياة وتزهو الدنيا وتنشرح القلوب في
عنة الكآبة الثقيلة

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

أمي

أراك تقنين العمر عملا وجهادا تكابدين الأهوال من أجل سعادتي لا تنتظرين جزاء
وتعتبرين نفسك محظوظة إذا أخطأتك سهام العذاب . تتعذبين من أجلي يا أمي
الحنون في غبطة الأطفال يا أمي الرؤوم ولم تكسر عزمك الآلام تتجشمين هول
الآخطار باسمه راضية . ألا تقولين لماذا هذا التفاني ؟

إذا عانقتك ، ولثمتني أنفاسك العطرة ، تنوين حبا وتنسي مآسي الدنيا قاطبة
لتبتسمي إلي فخورة بعذابك منتشية بصمودك من أجل الآخر ، مسخرة مهجتك
وحياتك فدائي ، ألا تقولين لماذا ؟

أسألك يا أمي لأنه يؤلمني أن أرى رواد الشر يجازونك جزاء سنمار ، وأنت
تستاهلين التمجيد والرفعة إلى أعلى مراتب الإنسانية . ألا تقولين ، يا علة كياني ،

أي ذنب اقترفت لتتأوهين في صمت وجلد ؟ ما السر في هذه القداسة التي تكتنف وجودك وما كنه هذه العبقرية التي تخلق منك ملاكا يعانق الحياة وجراحه دامية ، لا شيء ، يا مربيتي ، إلا لأنك أحببت وضحيته فهانت عليك الحياة . فلفيني يا حميمتي بين ذراعيك لأقبل جراحك ، لتطهرني بدمائك الزكية ، واغسلي بتلك الدماء وجه التاريخ المعفر بالتراب والملوث بالعار واطبعي صفحته بطابع الطهر والبرائة وانحتي من قيمك مبادئ الإنسانية المتوحشة ودعي نور الهداية ينفذ إلى ظلماتها لتضيء أركانها الدامسة فيهتدي بالنور أرباب الأنانية ... ورواد النعمة والمتزلفين المارقين . كم أعجب بك وأنت شامخة في عليائك معدة بنفسك في تواضع كنسور البدر ساطع في السماء ولكنه يتلألأ في عمق المياه الصافية أما خفافيش الليل الذين يؤلمهم النور فهم دخان وضيع وإن هو تعالى إلى أوج السماء زهوا وغرورا . إنها المهزلة تدعو إلى الضحك والبكاء في آن واحد . ومن كبر قلبك يا والدتي وعظمة نفسك ، أنك تتألمين لما عليه الخفافيش من جهل وتعنت . تخفين من وقع ألامك بتجرع كأس المرارة والحسرة في صمت وخشوع ، وإذا ما فرغت تملئينها من دموع اليأسمة وتتعمين بخمرتك الحلال في نشوة الزاهد المتعبد .

أمي لماذا لا ترمين بهذه الكأس جانبا ؟ أتخافين أن تتهشم فتدمي أرجل الخفافيش ؟ اطمنني يا أمي ! الخفافيش تمشي على الأرض محكوم عليها أن تبقى بين الأرض والسماء ، معلقة بين رحابة صدر الأرض - الأم ونور السماء المقدس ، معذبة في الظلام وهي تجهل أنها معذبة - وتلك هي المأساة . أسمعت يا راعيتي عصف الرياح ووقع الأمطار ودمدمة الرعود ؟ ألا تخافين البرد وأنت تتدثرين برداء خلق منسوج من خيوط العذاب ؟

أه . لقد فهمت !

دفع قلبك وحرارة شعورك يغنيك عن الفرو والصوف بهذه الصورة تقضين مضجع المتعالمين . حيرتهم أنهم يلبسون الفرو والجمازات الجلدية ويرتعدون

بردا حين يرونك وسط الزمهرير هادئة قانعة بثيابك المتواضعة .

أراك يا أمي تؤمنين بنفسك كما يؤمن الأبطال المنقذين بأنفسهم ، تتحددين الزمان والطبيعة والنواميس كلها وتشيدين من عظمة نفسك صروح الإيمان بالقيم النبيلة ساخرة من قوى الشر ، مستخفة بمهاترات العابثين ، داعية إلى العدل والتسامح ، رافعة لراية المحبة والتآلف هكذا تنغصين حياة الأشرار وكأنني بهم لا يتحملون رؤيتك منتصبية القامة ، مرفوعة الهامة ، تمشين إلى الخير ترفرف من حولك أجنحة السلام والأمان . ويضحك الجهلة عند رؤيتك ملتفة في رداك المتواضع ظنا منهم أن الشوب يصنع الراقب وقد طمس الله على قلوبهم بحب المظهر الخادع .

إنه عهد المادة يا أمي ، ذبلت فيه زهرة القيم وما باليد حيلة ! لن أبكيك يا حاضنتي لأنك في غنى عني ، ولن أسليك لأنك سعيدة بشقائك ، ولن يطغى الشر على الخير ما دام الله يرداك .

سأشوق طريقك يا أمي ، وأهتدي بك في ظلمات الحياة . أأست منبقة منك يا أمي الحنون . أنا مؤمنة بك يا أمي ، وإيمانك بك من إيماني بالله يا أمي ! يا أمي .

<http://Archivebeta.Sakhr.com>

